كتاب
عقيدة الإسلام

إعداد
الشيخ /محمد يحيى المغاوري

"عقيدة الإسلام "

.إعداد الشيخ محمد يحيى المغاوري

الحمد الله الأول والآخر والظاهر والباطن.الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد المنزه عن الشريك والولد سبحانه لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا وعظيمنا وقدوتنا ومصطفانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم أشهد بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمنة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحاجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزغ ولا يضل عنها إلا كل هالك ثم أما بعد إن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة في دين الله بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.ثم أما بعد.

فإن من أجل العلوم وأعظمها علم العقيدة فبها يعبد العبد ربه على بصيرة وبها يقي نفسه من البدع والضلالات فما ضل من ضل وزاغ من زاغ إلا لما فارقو المنهج السليم والطريق القويم والصراط المستقيم الذي إرتضاه الله عز وجل للعباد. ومعنى العقيدة عند العلماء: هي ما ينعَقِدُ عليه قلبُ المرءِ ويجزمُ به ويتَّخذه دينًا ومَذهبًا؛ بحيث لا يتطرَّق إليه الشكُّ.

واعلم أن أعلم الناس بالدين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم هم صحابته الكرام رضي الله عنهم جميعا فالخير كل الخير في إتباعهم والسير على خطاهم فاحلي بنا أن نتذاكر سويا عقيدة الإسلام بفهم أتباع النبي صلى الله عليه وسلم أهل السنة والجماعة رضي الله عنهم جميعا فمن إتبع هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم فهو على الحق ومن خالف هديه صلى الله عليه وسلم فهو على باطل. ولما كثرت الفتن وكثرت الطوائف والأفكار المنحرفة كان الطريق الصحيح هو تعلم العلم في الدين وإتبع سنة الصادق الأمين .صلى الله عليه وسلم . بفهم سلفنا الصالح وعلى مذهب أهل السنة والجماعة. نسأل الله أن يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضا وأن يجعل عملنا كله خالصا لوجهه متقبلا عنده يوم تبيض وجوه وتسود وجوه إنه الولي على ذلك والقادر عليه.

{١}باب.(شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله هي ركن الإسلام الأول وهي أصل الدين ولا يصح دين العبد إلا بها)

.ومعنى لا إله إلا الله. أي لا معبود بحق سوى الله. فكل ما يعبد من دونه باطل سبحانه خالق كل شيء هو الواحد الأحد المنزه عن الشريك والولد مالك الملك رب كل شيء ومليكه له الأسماء الحسنى والصفات العلى المنزه عن كل نقص وعيب سبحانه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. فاعلم أن فضل لا إله إلا الله عظيم ولو وضعت السموات السبع والأراضين السبع في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله .

(١) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ، عَلَيْهِ جُبَّةٌ سِيجَانٍ، مَزْرُورَةٌ بِالدِّيبَاجِ، فَقَالَ : أَلَا إِنَّ صَاحِبَكُمْ هَذَا قَدْ وَضَعَ كُلَّ فَارِسِ ابْنِ فَارِسٍ. قَالَ : يُرِيدُ أَنْ يَضَعَ كُلَّ فَارِسِ ابْنِ فَارِسٍ، وَيَرْفَعَ كُلَّ رَاعِ ابْنِ رَاعٍ، قَالَ : فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَجَامِعِ جُبَّتِهِ، وَقَالَ : " أَلَا أَرَى عَلَيْكَ لِبَاسَ مَنْ لَا يَعْقِلُ ؟ ". ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ : إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكَ الْوَصِيَّةَ : آمُرُكَ بِاثْنَتَيْنِ، وَأَنْهَاكَ عَنِ اثْنَتَيْنِ، آمُرُكَ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ لَوْ وُضِعَتْ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فِي كِفَّةٍ : رَجَحَتْ بِهِنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَوْ أَنَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعَ وَالْأَرَضِينَ السَّبْعَ كُنَّ حَلْقَةً مُبْهَمَةً قَصَمَتْهُنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، فَإِنَّهَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِهَا يُرْزَقُ الْخَلْقُ، وَأَنْهَاكَ عَنِ الشِّرْكِ وَالْكِبْرِ ". قَالَ : قُلْتُ – أَوْ قِيلَ – : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا الشِّرْكُ قَدْ عَرَفْنَاهُ، فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ : الْكِبْرُ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا نَعْلَانِ حَسَنَتَانِ لَهُمَا شِرَاكَانِ حَسَنَانِ ؟ قَالَ : " لَا ". قَالَ : هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا حُلَّةٌ يَلْبَسُهَا ؟ قَالَ : " لَا ". قَالَ : هُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا دَابَّةٌ يَرْكَبُهَا ؟ قَالَ : " لَا ". قَالَ : أَفَهُوَ أَنْ يَكُونَ لِأَحَدِنَا أَصْحَابٌ يَجْلِسُونَ إِلَيْهِ ؟ قَالَ : " لَا ". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَمَا الْكِبْرُ ؟ قَالَ : " سَفَهُ الْحَقِّ، وَغَمْصُ النَّاسِ ".

رواه أحمد في مسنده وهو حديث صحيح.

وهي أصل دعوة الرسول

فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله وهو عالما بها وقالها مخلصة من قلبه يبتغي بها وجه الله ومات عليها فهو مسلم وقد حرم الله عليه النار وأدخله الجنة وإن عذب بسبب ذنوب إرتكبها فإنه لا يخلد في النار.

(٢) رَوَى البُخَارِيّ في صحيحه من حَدِيث عتْبَان (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ حَرَّمَ عَلَى النَّارِ مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؛ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللَّهِ)

(٣)عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَمُعَاذٌ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ – قَالَ : (يَا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ". قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ، قَالَ : " يَا مُعَاذُ ". قَالَ : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَعْدَيْكَ – ثَلَاثًا – قَالَ : " مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ، إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ ". قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا ؟ قَالَ " إِذَنْ يَتَّكِلُوا ". وَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ تَأَثُّمًا) رواه البخاري.

(٤) روى مسلم في صحيحه عن أبي هُرَيْرَةَ حديث طويل قال فيه : النبي صلى الله عليه وسلم "(أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لَا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فِيهِمَا إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ)

(٥)عن أبي ذر رضي الله ، قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ، وَهُوَ نَائِمٌ، ثُمَّ أَتَيْتُهُ وَقَدِ اسْتَيْقَظَ، فَقَالَ : (مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ ". قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ". قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ". قُلْتُ : وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ ؟ قَالَ : " وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ عَلَى رَغْمِ أَنْفِ أَبِي ذَرٍّ). وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا قَالَ : وَإِنْ رَغِمَ أَنْفُ أَبِي ذَرٍّ. قَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ (يعني البخاري) : هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. غُفِرَ لَهُ.

(٦) روى مسلم في صحيحه واللفظ له وأحمد في مسنده عَنْ عُثْمَانَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ مَاتَ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ.

(٧) روى البخاري في صحيحه عَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ – أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ)قال البخاري". قَالَ الْوَلِيدُ : حَدَّثَنِي ابْنُ جَابِرٍ ، عَنْ عُمَيْرٍ ، عَنْ جُنَادَةَ . وَزَادَ : " مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيَّهَا شَاءَ ".فهذه الآحاديث تدل على أن من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله عالما بمعناها وقالها خالصة من قلبه يبتغي بها وجه الله فالقي الله عز وجل وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله

.صلى الله عليه وسلم .غير شاك فيهما أن الله يدخله الجنة ويحرمه على النار إبتداء فلا يدخل النار أصلا ولكنها محمولة على من قالها وأداها بحقها فلم يقع فيما يوجب له العذب من الشرك والكبائر وأنه لو وقع في كبيرة فإنه يكون قد تاب منها ولذلك تعقب البخاري الحديث الذي فيه" وإن زنا وإن سرق"قال:هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ قَبْلَهُ إِذَا تَابَ وَنَدِمَ، وَقَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. غُفِرَ لَهُ. قلت ويؤيد هذا الحديث: الآتي.

(٨)عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (قَالَ : " يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ) رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ البخاري. فهذا الحديث يبين أنه ليس كل من قال لا إله إلا الله لن يدخل النار أصلا بل منهم من يدخل النار ويخرج الله عز وجل من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ومن كان في قلبه وزن برة من خير وكذا من كان في قلبه وزن ذرة من خير ويدل على هذا أيضا الحديث الآتي.

(٩) عند البخاري في حديث الشفاعة الطويل أن رسولَ اللَّه صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (ثُمَّ أَعُودُ الرَّابِعَةَ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ الْمَحَامِدِ ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ ائْذَنْ لِي فِيمَنْ قَالَ: لا اله إلا الله، فَيَقُولُ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَكِبْرِيَائِي وَعَظَمَتِي لأُخْرِجَنَّ مِنْهَا مَنْ قَالَ: لا اله إلا الله) فشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله هي أصل الدين وهي العمدة في حرمة المال والدم.

(١٠)عَنْ ابى مَالِكٍ عَن ابيه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (مَنْ قَالَ: لا اله إلا الله، وَكَفَرَ بِمَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله، حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ. وَحِسَابُهُ عَلَى الله) رواه مسلم.فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول وكفر بما يعبد من دون الله ولم يفعل شيء يخرجه عن الدين ولم يفعل مايجب عليه القتل فدمه وماله وعرضه حرام

(١١)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ :(قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، إِلَّا بِإِحْدَى ثَلَاثٍ : النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالْمَارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ)رواه البخاري وهو عند مسلم بإختلاف يسير في اللفظ.فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يبين للأمة أنه لا يحل دم مسلم ينطق بالشهادة إلا بإحدى ثلاث النفس بالنفس فمن قتل غيره عمدا بغير حق كان عليه القصاص إلا أن يعفوا أهل المقتول والثيب الزاني يعني من تزوج

وزنا بعدما تزوج سواء كانت زوجته معه أم توفت عنه أو فارقها فمن زنا وهو ثيب رجم حتى الموت والتارك لدينه المفارق للجماعة يعني جماعة المسلمين فمن إرتد عن دينه قتل .

(١٢) روى مسلم في صحيحه عن جندب إبن عبد الله وفيه .فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ. قَالَ : وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ، قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ : (لِمَ قَتَلْتَهُ ؟ " قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا، وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَقَتَلْتَهُ ؟ " قَالَ : نَعَمْ. قَالَ : " فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ " قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ : " وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ " قَالَ : فَجَعَلَ لَا يَزِيدُهُ عَلَى أَنْ يَقُولَ : " كَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) وفي رواية عند مسلم أيضا أن أسامة رضي الله عنه قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلَاحِ. قَالَ : " أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لَا ؟ " فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي أَسْلَمْتُ يَوْمَئِذٍ" يدل هذا الحديث أن من شهد أن لا إله إلا الله دخل بها الإسلام وحرم قتله مالم يعمل عمل يخرجه من الإسلام أو يوجب عليه القتل كما يدل أيضا على عدم الحكم على الناس بالظن فلا يصح من مسلم أن يحكم بالكفر أو النفاق على من شهد أن لا إله إلا الله حتى وإن دلت القرائن على ذلك لأن القلوب لا يعلمها إلا الله. فلا إله إلا الله لها منزلة عظيمة.

(١٣)عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ : أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا ؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ : أَفَلَكَ عُذْرٌ ؟ فَيَقُولُ : لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ : بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولُ : احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ ؟ فَقَالَ : إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ : فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ)رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد وهذا لفظ الترمذي وهو حديث صحيح. فهذا الحديث يدل على عظم لا إله إلا الله وأنها سبب في مغفرة الذنوب فلا يثقل مع إسم الله شيء وهي أعظم

العبادات وأصل الإسلام فينبغي على العبد أن يقولها موقن بها خالصة من قلبه عالم بمعناها ويؤديها بحقها وليس المقصود مجرد القول بها فقد كان يقولها المنافقون يبطنون الكفر ويظهرون الإيمان فتوعدهم الله عز وجل بالعذاب.

(١٤)قال الله عز وَجل {وَمن النَّاس من يَقُول آمنا بِالله وباليوم الآخر وَمَا هم بمؤمنين يخادعون الله وَالَّذين آمنُوا وَمَا يخدعون إِلَّا أنفسهم وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبهم مرض فَزَادَهُم الله مَرضا وَلَهُم عَذَاب أَلِيم بِمَا كَانُوا يكذبُون}

(البقرة.آية -٨-٩-١٠-)

(١٥) – قال الله – عز وجل –: {إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ} إلى قوله تعالى: {فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ}

[المنافقون: ١ – ٣]. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من أهل لا إله إلا الله وأن يختم لنا بها وأن يحرم وجوهنا ووجوهكم على النار.

{٢}باب{الصلاة الركن الثاني في الإسلام}

فالصلاة لها منزلة عظمة في الإسلام .

وقد حث عليها ربنا في كتابه في أكثر من آية منها "قوله سبحانه

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ}، سورة البقرة، الآية ٤٣.

ومنها "قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} [البينة: ٥] " فالصلاة صلة بين العبد وربه وهي سبب في تكفير الذنوب.

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَجُلًا أَصَابَ مِنِ امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ (فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ }. فَقَالَ الرَّجُلُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلِي هَذَا ؟ قَالَ : " لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ ".)رواه البخاري. فالصلاة لها مكانة رفيعة ومنزلة عظيمة وقد توعد الله عز وجل من سهى عنها وآخرها عن وقتها .

فقال في كتابه العزيز { فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ (٤) الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ سَاهُونَ (٥) }(الماعون)قيل هم الذين يسهون عنها حتى يخرج وقتها.وقيل هم المنافقون الذين يراءون بأعمالهم.

وترك الصلاة كبيرة من الكبائر بل هي السبب الأول الذي ذكره الكفار في دخول النار .

قال تعالى.

{فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ(٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١)مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ(٤٢)قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ(٤٣) [المدثر]

فالصلاة لها منزلة عظيمة وتركها جرم كبير وتاركها منكرا لوجوبها جاحدا بها كافر ويقتل ردة ولا نعلم أحد من أهل العلم خالف في ذلك وإختلفو في حكم من تركها تكاسلا بها مع إقراره بوجوبها هل هو كافر كفر يخرج من الملة أم لا .

فذهب الإمام أحمد والأوزاعي وإبراهيم النخعي وعبد الله ابن المبارك وزهير ابن حرب وأبوخثيمة وغيرهم . أن تارك الصلاة كافرا كفر يخرج من الملة سواء كان منكرا لوجوبها أم تركها تكاسلا ويقتل لكونه كافرا مرتد ولهم أدلة على ذلك .

(١)قال تعالى في سورة التوبة: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين} (التوبة:آية١١).وجه الدلالة أن الله تعالى اشترط لثبوت الأخوة بيننا وبين المشركين، ثلاثة شروط: أن يتوبوا من الشرك، وأن يقيموا الصلاة، وأن يؤتوا الزكاة. فإن يتوبو من الشرك، ولم يقيموا الصلاة، ولم يؤتوا الزكاة، فليسوا بإخوة لنا. والأخوة في الدين لا تنتفي إلا حيث يخرج المرء من الدين بالكلية. فلا تنتفي الأخوة الإيمانية بالفسوق والكفر دون الكفر، وخرجت الزكاة من هذا ببعض النصوص الآخرى

(٢) قال تعالى {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا. إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} (مريم_ آية ٥٩_٦٠) وجه الدلالة أن الله سبحانه.قال.إلا من تاب وآمن.فهذا يدل على أن تارك الصلاة ليس مؤمن أصلا ولو كان مؤمن لكان قوله سبحانه تحصيل حاصل وهذا لا يليق بجلاله سبحانه.

(٣) عن جَابِرًا يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (" إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكَ الصَّلَاةِ ".)رواه مسلم .فهذا النبي صلى الله عليه وسلم يبين أن تارك الصلاة واقع في الشرك والكفر وذكر اللفظين هنا وهما بمعنى واحد للتأكيد على أن تارك الصلاة كافر

(٤)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللَّهَ فِي ذِمَّتِهِ)فهذا الحديث يبين أن من صلى لغير القبلة فاليس بالمسلم الذي له عهد الله وأمانه فإذا كان ليس بمسلم فهو كافر وهذا في حق من صلى لغير القبلة فما بالك بمن تركها أصلا.

(٥) روى أحمد في المسند واللفظ له .حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ أَبِي النَّجُودِ ، عَنْ أَبِي وَائِلٍ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا مِنْهُ وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي مِنَ النَّارِ. قَالَ : " لَقَدْ سَأَلْتَ عَنْ عَظِيمٍ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى مَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ : تَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ ". ثُمَّ قَالَ : " أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَبْوَابِ الْخَيْرِ ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ ". ثُمَّ قَرَأَ : { تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ }، حَتَّى بَلَغَ { يَعْمَلُونَ }. ثُمَّ قَالَ : " أَلَا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الْأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ ؟ ". فَقُلْتُ : بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " رَأْسُ الْأَمْرِ الْإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ الْجِهَادُ ". ثُمَّ قَالَ : " أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلَاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ ؟ ". فَقُلْتُ لَهُ : بَلَى يَا نَبِيَّ اللَّهِ. فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ، فَقَالَ : " كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا ". فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ ؟ فَقَالَ : " ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ – أَوْ قَالَ : عَلَى مَنَاخِرِهِمْ – إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ)حديث حسن لغيره .وهذا الحديث يدل على أن الصلاة هي عمود الإسلام فإذا سقط العمود سقط البناء فلا إسلام لمن لا صلاة له.

(٦) عن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (الْعَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ ".)رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد .وهو لا يثبت . فهذا الحديث صريح في كفر تارك الصلاة وتفسير النص على غير معناه الظاهر لا يصح.

(٧)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا، فَقَالَ : (مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ)رواه أحمد في المسند والدارمي في سننه وهذا لفظ أحمد ورجاله ثقات إلا عيسى ابن هلال الصيرفي لا نعرف متى ولد ولا متى مات وهل يصح سماعه من عبد الله ابن عمر أم لا .وهذا الحديث يبين أن منزلة تارك الصلاة يوم القيامة مع أشد الناس كفرا ونفاقا وهذا يدل على كفره.

(٨)عَنْ مَكْحُولٍ ، عَنْ أُمِّ أَيْمَنَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا تَتْرُكِ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا ؛ فَإِنَّهُ مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ".)رواه أحمد في المسند وسنده ضعيف. مكحول لم يلقى أم أيمن.

(٩) ، عَنْ مُعَاذٍ ، قَالَ : (أَوْصَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَشْرِ كَلِمَاتٍ. قَالَ : " لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ شَيْئًا، وَإِنْ قُتِلْتَ وَحُرِّقْتَ، وَلَا تَعُقَّنَّ وَالِدَيْكَ، وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ، وَلَا تَتْرُكَنَّ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا، فَإِنَّ مَنْ تَرَكَ صَلَاةً مَكْتُوبَةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللَّهِ، وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا، فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ فَاحِشَةٍ، وَإِيَّاكَ وَالْمَعْصِيَةَ، فَإِنَّ بِالْمَعْصِيَةِ حَلَّ سَخَطُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِيَّاكَ وَالْفِرَارَ مِنَ الزَّحْفِ وَإِنْ هَلَكَ النَّاسُ، وَإِذَا أَصَابَ النَّاسَ مَوَتَانٌ وَأَنْتَ فِيهِمْ فَاثْبُتْ، وَأَنْفِقْ عَلَى عِيَالِكَ مِنْ طَوْلِكَ، وَلَا تَرْفَعْ عَنْهُمْ عَصَاكَ أَدَبًا، وَأَخِفْهُمْ فِي اللَّهِ ".)رواه أحمد بسند منقطع لا يصح.عبد الرحمن ابن جبير ابن نفير لم يلقى معاذ .وهذا الحديث والذي قبله يبينان أن تارك الصلاة برئت منه ذمة الله ومن برئت من ذمة الله كفر.

(١٠)روى المروزي في تعظيم قدر الصلاة ، عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَوْصَانَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعِ خِلَالٍ فَقَالَ: (لَا تُشْرِكُوا بِاللَّهِ شَيْئًا وَإِنْ قُطِّعْتُمْ، أَوْ حُرِّقْتُمْ، أَوْ صُلِّبْتُمْ، وَلَا تَتْرُكُوا الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدِينَ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْمِلَّةِ، وَلَا تَقْرَبُوا الْخَمْرَ فَإِنَّهَا رَأْسُ الْخَطَايَا)وفيه سلمة ابن شريح لا يعرف.

(١١) عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ الْمِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ ، أَخْبَرَهُ(أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ مِنَ اللَّيْلَةِ الَّتِي طُعِنَ فِيهَا، فَأَيْقَظَ عُمَرَ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، فَقَالَ عُمَرُ : نَعَمْ، وَلَا حَظَّ فِي الْإِسْلَامِ لِمَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ. فَصَلَّى عُمَرُ وَجُرْحُهُ يَثْعَبُ دَمًا.)رواه مالك وهو حديث صحيح.فهذا عمر يبين أنه لا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة فتاركها كافر

(١٢) روى الترمذي في سننه . حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، عَنِ الجُرَيْرِيِّ ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ :(كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ. سَمِعْتُ أَبَا مُصْعَبٍ الْمَدَنِيَّ يَقُولُ : مَنْ قَالَ : الْإِيمَانُ قَوْلٌ. يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ، وَإِلَّا ضُرِبَتْ عُنُقُهُ)وهذا الأثر رجاله ثقات

لكن فيه الجريري اختلط.

فهذه الآحاديث تدل دلالة واضحة أن تارك الصلاة كافر فلا يزوج ولايرث ولا يورث ولايصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين .

والراجح والله أعلم أن تارك الصلاة كفره كفر عمل وليس كفر إعتقاد والأصل أن من شهد أنه لا إله إلا الله وأن محمد رسول فهو مسلم بيقين فلا يخرج عن الإسلام إلا بيقين مثله فاكفر تارك الصلاة كفر دون كفر وأما عن الأدلة التي يحتج بها من قال بأن كفر تارك الصلاة كفر يخرج من الملة فهي تحمل أكثر من معنى والدليل إذا تطرق إليه الإحتمال سقط به الإستدلال فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو مسلم بيقين ولا يختلف في هذا أحد من المسلمين فالبد حتى نقول عليه كافر لتركه الصلاة أن تكون الأدلة قاطعة فاصلة لا تقبل غير معنى واحد وهو الكفر الأكبر وهذا ليس حاصل في الأدلة التي يحتج بها من قال أن تارك الصلاة كافرا كفرا يخرج من الملة ويمكن حملها على غير المعنى الذي يدل على الكفر الأكبر كما سيأتي فتارك الصلاة تكاسلا كافر ولكن كفر دون كفر

وهذا مذهب جمهور العلماء فهو مذهب أبي حنيفة ومالك والزهري والشافعي وغيرهم ولهم أدلة على ذلك منها ماذكرناه في الباب السابق.في فضل لا إله إلا الله وأن من لقى الله بها وقالها مخلصة من قلبه عالما بها يبتغي بها وجه الله أنه محرم على النار فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها على مريم وروح منه والجنة حق والنار أدخله الله الجنة على ما كان من عمل .وأن الله عز وجل يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة أو برة أو ذرة من خير فلو كان تارك الصلاة تكاسلا كافر كفر يخرج من الملة فهو من الخالدين في النار لأن أهل الكفر مخلدين فيها كما دلت على ذلك الأدلة منها

" قَولـه تَعَالَى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ} [البينة: ٦] ودلت الآحاديث الصحيحة في فضل لا إله إلا الله أن صاحبها محرم على النار حتى وإن دخل فلا يخلد بل يخرج منها من قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال ذرة من خير وهذا يدل أن تارك الصلاة تكاسلا كفره ليس كفر أكبر إنما هو كفر دون كفر وقد جاء أكثر من حديث يبين أن الكفر ليس كله مخرج من الملة فقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال " سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتَالُهُ كُفْرٌ ". وهذا صريح في كفر من قتل مسلما بغير حق ومع ذلك لم نعلم أحد من علماء الإسلام قال أن كفره هذا كفر يخرج من الملة وقد صح عنه. صلى الله عليه وسلم .أيضا أنه قال "من غش فليس مني" فقد تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم من الغاش وبين أنه ليس تبع له ومع ذلك ما قال أحد من أهل العلم أن الغاش كافر والأمثلة على ذلك كثيرة.فاليس كل كفر هو كفر يخرج من الملة فكفر تارك الصلاة تكاسلا كفر عمل وليس كفر إعتقاد فهو يؤمن أنه لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقر بما جاء به القرآن وبما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ويقر بوجوب الصلاة وأنها فرض عليه ولكن غلبته نفسه وفتنته دنياه وزين له الشيطان عمله فتكاسل عن تأديتها ولا شك أن ترك الصلاة بلية من أكبر البلاية وكبيرة من أكبر الكبائر وأن من ضيع صلاة كان أشد جرم من آكل الربا والسارق والزاني وأنه كافر لكن كفره كفر دون كفر وهو تحت مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له

" عَنْ عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيِّ قَالَ : زَعَمَ أَبُو مُحَمَّدٍ أَنَّ الْوِتْرَ وَاجِبٌ، فَقَالَ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ : كَذَبَ أَبُو مُحَمَّدٍ، أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ .)رواه أبي داوود وأحمد وهذا لفظ أبي داوو وهو حديث حسن. رجاله ثقات وعبد الله الصنابحي ذكر ابن معين أن له صحبة قال ابن حجر مختلف في وجوده وهذا الحديث روي بأكثر من طريق بألفاظ متقاربة فقد روي من طريق المخدجي كما عند مالك في الموطأ وأحمد والنسائي .وعند أحمد أيضا بسياق أطول من هذا روى عن هَاشِمٌ ، حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ الْمُسَيَّبِ الْبَجَلِيُّ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ وفيه (فَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ : مَنْ صَلَّى الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا وَحَافَظَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يُضَيِّعْهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَهُ عَلَيَّ عَهْدٌ أَنْ أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُصَلِّهَا لِوَقْتِهَا وَلَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، وَضَيَّعَهَا اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهَا، فَلَا عَهْدَ لَهُ، إِنْ شِئْتُ عَذَّبْتُهُ، وَإِنْ شِئْتُ غَفَرْتُ لَهُ).وعيسى البجلي ضعيف وذكر ابن معين أن بين

الشعبي وكعب ابن عجرة عبد الرحمن ابن أبي ليلى .قلت وهو متابع لا بأس به .فالحديث ثابت ولا يضر قول ابن حجر عن عبد الله الصنابحي .فهذا الحديث يدل على أن تارك الصلاة تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه ولو كان كفره كفر يخرج من الملة لكان مستحق للخلود في النار كما دلت الأدلة على ذلك. وأما أدلة من يقول بكفر تارك الصلاة تكاسلا كفر أكبر فيمكن حملها على الكفر الأكبر ويمكن حملها على عدم الكفر الأكبر فلا يصح أن نقول بكفر مسلم بيقين إلا بيقين مثله وليس بالإحتمال ويمكن أن يجاب عن هذه الأدلة بما يلي.

أما قوله تعالى "فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين"فيمكن أن يحمل المعنى على أن المشركين إن تابو من الشرك وآمنو وأقامو الصلاة وآتو الزكاة فإخوانكم في الدين إخوة تعصم دمائهم.والذي يدل على ذلك أنه سبحانه وتعالى قارن الزكاة بالصلاة فإن كان تارك الصلاة ليس أخ في الإسلام وهو كافر بمفهوم الآية فإن تارك الزكاة كذلك ومن قال بكفر تارك الصلاة لا يقول بهذا فالمقصود إخوة خاصة يعني إخوانكم الذين لا يحل لكم قتالهم وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال" أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ، حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ "

أما عن قوله تعالى {فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْئًا} فيحمل على تمام الإيمان فيكون المعنى إلا من تاب عن ترك الصلاة وإتباع الشهوات وآمن إيمان تام مقرون بالتوبة. فعند ترك الصلاة وإتباع الشهوات يرفع الإيمان كما دل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم .

" لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ"فهل يفهم من الحديث أن الزاني كافر طبعا لا إنما المقصود تمام الإيمان وليس أصل الإيمان " والآية ليس فيها ذكر كفر تارك الصلاة إنما فيها وعيد

وأما حديث "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة فمن تركها فقد كفر "فمحمول على كفر العمل وليس كفر الإعتقاد فهو كفر دون كفر "

وحديث "مَنْ صَلَّى صَلَاتَنَا، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وَأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فَذَلِكَ الْمُسْلِمُ"فهذا الحديث يبين أن من صلى الصلاة كما علمنا إياها النبي وإتجه إلى القبلة التي بينها لنا النبي صلى الله عليه وسلم فهو المسلم وهذا صحيح ولا يعني ذلك أن تارك الصلاة تكاسلا كافر وإنما يعني أن من صلى لغير قبلة المسلمين ولم يصلي كاصلاة المسلمين فاليس بمسلم لأن من فعل ذلك مكذب لما جاء به الكتاب والسنة"

وأما حديث "رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة" فهو حديث حسن لغيره وهو عند الترمذي وابن ماجة ولفظ ابن ماجة ليس فيه "أو مناخرهم "وسند أحمد رجاله ثقات إلا عاصم إبن أبي النجود هو ثقة ولكن في حفظه شيء والحديث له طريق آخر عند أحمد في المسند من طريق روح قال حَدَّثَنَا رَوْحٌ ، حَدَّثَنَا شُعْبَةُ ، عَنِ الْحَكَمِ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُرْوَةَ بْنَ النَّزَّالِ، أَوِ النَّزَّالَ بْنَ عُرْوَةَ يُحَدِّثُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ – قَالَ شُعْبَةُ : فَقُلْتُ لَهُ : سَمِعَهُ مِنْ مُعَاذٍ ؟ قَالَ : لَمْ يَسْمَعْهُ مِنْهُ، وَقَدْ أَدْرَكَهُ .قَالَ الْحَكَمُ : وَسَمِعْتُهُ مِنْ مَيْمُونِ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ .وهذا الحديث يبين أن الصلاة هي عمود الإسلام ولا شك في ذلك فالصلاة في الإسلام ركن من أركانه الخمسة وتاركها كافر كما أخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم ولكن ليس كفره مثل كفر اليهود والنصارى فكيف يستوي من يقول لا إله إلا الله بمن يقول عزير ابن الله أو يقول المسيح ابن الله فكفر تارك الصلاة كفر عمل ليس كفر إعتقاد وعلى هذا المعنى يحمل

حديث "العهد الذي الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر "إن صح وهو حديث غريب لا يعرف إلا من طريق حسين ابن واقد عن عبد الله ابن بريدة. وحسين ابن واقد مختلف فيه وثقه يحيى والدارمي والدوري وأحمد في رواية عنه .وعن الأثرم عن أحمد قال أحاديثه ما أدري إيش هي ونفض يده وقال المروزي عنه ليس بذلك وقال عنه ابن حجر في. تقريب التهذيب. ثقه له أوهام وقال عنه الساجي فيه نظر وهوصدوق يهم .قلت ومن كان هذا حاله فهو يحتاج إلى متابعة ولم يعرف الحديث إلا من طريقه وعبد الله ابن بريدة شيخه مختلف فيه كذلك فقد وثقه أبوحاتم ويحيى ابن معين وغيرهم وضعفه أحمد .عن أبو القاسم البغوي قال حدثني محمد بن علي الجوزجاني قال قلت لأبي عبد الله .يعني أحمد ابن حنبل .سمع عبد الله من أبيه شيء قال ما أدري عامة ما يروى عن بريدة عنه وضعف حديثه. وعن إبراهيم الحربي قال عبد الله أتم من سليمان ولم يسمعا من أبيهما وفيما روى عبد الله عن أبيه أحاديث منكرة وسليمان أصح حديثا .قلت وأما عن عدم سماع حديث عبد الله من أبيه فهو مستبعد فما الذي يمنعه عن سماع أبيه وقد عاش معه عمرا فقد ولد عبدالله ابن بريدة

سنة ١٥ ومات سنة ١١٥.وبريدة ابن الحصيب رضي الله عنه أبيه مات سنة ٦٢وقيل سنة ٦٣ فكيف لا يصح سماع ابنه عبد الله منه وقد عاش معه ٤٧سنة أو أكثر"

وأما الحديث الذي فيه "وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا لَمْ يَكُنْ لَهُ نُورٌ، وَلَا بُرْهَانٌ، وَلَا نَجَاةٌ، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ" فهو لا يعرف إلا من طريق عيسى إبن هلال وهو ليس مشهور وهو مصري ولا نعرف متى ولد ولا متى مات وهل يصح سماعه من إبن عمر أم لا وثقه إبن حبان في كتاب الثقات وقال عنه الذهبي في كتابه الكاشف وثق وقال عنه إبن حجر في تقريب التهذيب صدوق"

وأما حديث.من ترك الصلاة متعمدا فقد برئت منه ذمة الله ورسوله. فلا يصح فسنده منقطع مكحول لم يلقى أم أيمن وفي سنده الوليد إبن مسلم وهو إمام ثقة في نفسه ولكنه يدلس تدليس التسوية وهو أن يسقط الراوي الضعيف من السند من بين الثقتين ثم يروي الحديث بالعنعنة فالبد حتى يثبت الحديث من طريقه أن يصرح بالتحديث في جميع طبقات الحديث وهذا من شر أنواع التدليس" وهكذا الحديث الذي بعده سنده منقطع عبد الرحمن لم يلقى معاذ .وقد روى المروزي في تعظيم قدر الصلاة حديث يدل على أن من ترك الصلاة قد برئت منه ذمة الله وهو متابع جيد وفي سنده شهر ابن حويشب ضعيف ولو صح الحديث فاليس فيه دليل على أن تارك الصلاة كافر كفر أكبر وإنما معناه أنه ليس له عهد عند الله ولا أمان فقد برئت منه ذمة الله . فإن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

وأما الحديث الذي فيه "وَلَا تَتْرُكُوا الصَّلَاةَ مُتَعَمِّدِينَ فَمَنْ تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا فَقَدْ خَرَجَ مِنَ الْمِلَّةِ"ففيه سلمة إبن شريح مجهول ولو صح الحديث لحسم الخلاف ولكنه ضعيف لا تقوم به الحجة.

وأما قول عمر "ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة" فيحمل على أنه لا حظ له في عفو الإسلام ورحمته لأن من ضيع الصلاة قد توعده الله بالغي وأما قول عَبْدِ اللَّهِ بْنِ شَقِيقٍ الْعُقَيْلِيِّ قَالَ " كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الْأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلَاةِ"فهو للزجر فاعبد الله إبن شقيق فقيه وقد أراد أن يزجر الناس عن ترك الصلاة فقال مقالته هذه وما كذب فلو تأملت وجدت أن كل كفر أصغر متعلق بالفعل وليس بالترك فقتال المسلم فعل والحلف بغير الله فعل والذهاب إلى الكاهن والعراف وتصديقه أو إتيان إمرأة في دبرها إن صح الحديث فعل والغش فعل ولا نعرف شيء تركه كفر

غير الصلاة هذا إن صح الأثر ففيه الجريري إختلط فلا نعلم هل حدث بالأثر قبل الإختلاط أم بعده وقد روى المروزي في قدر تعظيم الصلاة أكثر من أثر عن أكثر من صحابي يدل على أنهم كانو يرون أن تارك الصلاة كافر ولكن لم نعرف أحد منهم قال أنه كافر كفر يخرجه من الملة ولكن حاصل الأمر إن صحت هذه الآثار أنهم كانو يطلقون لفظة الكفر مطلقة أو بمعناها في حق تارك الصلاةوهذا ليس لهم فيه شيء إنما أطلق النبي على تارك الصلاة الكفر فهم كانو يطلقون الكفر على تارك الصلاة دون تفصيل وهذا حسن لا بأس به ولكن هل صح إجماع الصحابة على أن كفر تارك الصلاة كفر يخرج من الملة فهذا مستبعد فلو صح إجماع الصحابة في كفر تارك الصلاة لعلم جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ذلك ولما خفي ذلك عن كبار العلماء مثل مالك وأبي حنيفة والزهري وغيرهم ولما جاز من أحد خلاف ذلك" وعلى كل حال فترك الصلاة ليس هين ولا سهل وكما ترى إختلاف أكابر العلماء في حكم تاركها تكاسلا هل هو كافر أم لا وهل يقتل ردة أم حدا أم يحبس ويعذر فترك الصلاة ليس سهل وحسبك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال "إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"أسأل الله أن يجعلنا وإياكم من الذين هم على صلاواتهم يحافظون وأن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والرشاد.

(٣) باب.(الزكاة هي الركن الثالث في الإسلام)

الزكاة لها منزلة عظيمة في الإسلام فهي الركن الثالث من أركان الإسلام وهي حق الله على العباد فحق على كل غني ملك النصاب الذي تجب فيه الزكاة أن يخرج زكاة ماله ولا يجوز لمسلم منع الزكاة فمن ترك الزكاة بخلا وتهاونا بها وقع في كبيرة من أكبر الكبائر ومن أنكر الزكاة وقال ليس في الدين زكاة فهو كافر بإجماع المسلمين ولا نعلم خلافا في ذلك إلا إن كان جاهلا بحكمها لكونه حديث عهد بالإسلام أو عاش حياته في بلد لم يعرف شيء عن الإسلام .قال إبن قدامة رحمه الله في "المغني" فمن أنكر وجوبها جهلا به , وكان ممن يجهل ذلك إما لحداثة عهده بالإسلام , أو لأنه نشأ ببادية نائية عن الأمصار , عرف وجوبها , ولا يحكم بكفره ; لأنه معذور , وإن كان مسلما ناشئا ببلاد الإسلام بين أهل العلم فهو مرتد , تجري عليه أحكام المرتدين ويستتاب ثلاثا , فإن تاب وإلا قتل ; لأن أدلة وجوب الزكاة ظاهرة في الكتاب والسنة وإجماع الأمة , فلا تكاد تخفى على أحد ممن هذه حاله , فإذا جحدها لا يكون إلا لتكذيبه الكتاب والسنة , وكفره بهما .وقد حث الله عز وجل عليها في كتابه وحث عليها النبي صلى الله عليه وسلم في سنته .

(١)قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (سورة البقرة الآية ١١٠)

(٢)قال الله تعالى:

(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (سورة التوبة الآية ١٠٣)

(٣)قال تعالى:

(وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ (سورة التوبة الآيتان ٣٤ – ٣٥.)

(٤)قال تعالى:(وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (سورة المؤمنون الآية ٤.)

(٥)قال تعالى: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ (سورة الأعراف الآية ١٥٦.)

(٦)قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ (سورة البقرة الآية ٤٣)

(٧)قال تعالى: (إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (سورة التوبة الآية ٦٠)

وقد جاء في السنة أيضا أكثر من دليل يبين وجوب الزكاة.

(٨)عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: (إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ) رواه البخاري ومسلم.

(٩)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلَا فِضَّةٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا ؛ إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ صُفِّحَتْ لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ ؛ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْإِبِلُ ؟ قَالَ : " وَلَا صَاحِبُ إِبِلٍ لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا يَوْمَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ ، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ لَا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا وَاحِدًا تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا ؛ رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ ؛ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ ؟ قَالَ : " وَلَا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلَا غَنَمٍ، لَا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لَا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ ، وَلَا جَلْحَاءُ ، وَلَا عَضْبَاءُ تَنْطِحُهُ بِقُرُونِهَا، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلَافِهَا ، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولَاهَا ؛ رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ ؛ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَى النَّارِ ". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْخَيْلُ ؟ قَالَ : " الْخَيْلُ ثَلَاثَةٌ : هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ ؛ فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ : فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً، وَفَخْرًا، وَنِوَاءً عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ : فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا ، وَلَا رِقَابِهَا ، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ : فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ، فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ، أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ ؛ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَاتٌ، وَلَا تَقْطَعُ طِوَلَهَا ، فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا ، أَوْ شَرَفَيْنِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا، وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلَا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ ". قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْحُمُرُ ؟ قَالَ : " مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ شَيْءٌ إِلَّا هَذِهِ الْآيَةَ الْفَاذَّةَ الْجَامِعَةَ : { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ } { وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } رواه مسلم.

فالأدلة على الزكاة كثيرة فالزكاة حق الله على العباد وقد بين الشرع الأصناف التي تصرف فيها الزكاة وقد فصل العلماء رحمهم الله في كتب الفقه في المسائل التي تخص الزكاة وعرفو ما هو النصاب ومتى تجب الزكاة وفي أي شيء تجب وليس هذا موضع البسط فيها ولو أن أهل بلد من البلاد تركو الزكاة أرغمهم ولي أمر المسلمين على إخراجها وقاتلهم حتى يؤدوها.

(١٠)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ. قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ : كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ " ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : وَاللَّهِ لَأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلْقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الْحَقُّ)رواه مسلم .

(٤) باب.

(صوم رمضان هو الركن الرابع في الإسلام)

فصيام رمضان ركن من الأركان الإسلام وهو واجب على كل مسلم بالغ عاقل صحيح مقيم ويسقط صيامه عن المرأة الحائض والنفساء وعن المريض والمسافر .والإيمان بوجوب صوم رمضان على من أوجبه الله عليه واجب وإنكاره كفر ولا نعلم خلافا في هذا إلا إن كان حديث عهد بالإسلام أو نشأ في بلد لم يعرف أهله شيء عن الإسلام فإنه يعذر لجهله ويعلم وترك صيام رمضان على من أوجبه الله عليه مع الإقرار بوجوبه بدون عذر شرعي كبيرة من الكبائر وقد بين الله عز وجل في كتابه أن صيام رمضان فرض ورخص في تركه للمريض والمسافر ويصومو في أيام آخر وبين أن الذي لا يطيق الصيام ولا يستطيعه يخرج فدية طعام مسكين

(١)قال الله عز وجل : (يَا أَيهَا الذِينَ آمَنُوَا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (١٨٣) أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١٨٤) شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٨٥) (البقرة)

وبين سبحانه أن الصيام يكون من طلوع الفجر إلى غروب الشمس .

(٢)قال تعالى {فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ} [البقرة: ١٨٧] .

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن صيام الشهر يبدء برؤية الهلال وينتهي برؤيته.

(٣)عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَوْ قَالَ : قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غُبِّيَ عَلَيْكُمْ فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلَاثِينَ ".) رواه البخاري.

وبين صلى الله عليه وسلم أن من أكل أو شرب ناسيا أن يتم صومه ولا شيء عليه فإنما أطعمه الله وسقاه .

(٤)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ أَكَلَ نَاسِيًا وَهُوَ صَائِمٌ فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللَّهُ وَسَقَاهُ)رواه البخاري.

والعلة من الصيام هي تحصيل التقوى فهو يؤدب النفس ويهذبها ويعلمها الإخلاص فهو عمل خاص بين العبد وربه لا يطلع عليه العبيد فيمكن أن يفطر الإنسان في بيته ثم يخرج أمام الناس ويقول إني صائم ولكنه يمنع نفسه لله ويكون بجواره الطعام والشراب والزوجة بجواره ويمنع نفسه من ذلك كله لله فالصيام يؤدب النفس ويعلمها التقوى فكما تمنع تفسك عن الطعام والشراب والشهوة التي أحلها الله لك في غير رمضان وفي ليل رمضان تمنع نفسك من الحرام سائر العام فالصيام عبادة من أفضل العبادات. فينبغي على العبد الإبتعاد عن الحرام فيبتعد عن قول الزور والعمل به حتى يقبل صومه .

(٥)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ)رواه البخاري.

والصيام وقاية من عذاب الله عز وجل.

(٦)عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (قَالَ اللَّهُ : كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ : إِنِّي

امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا ؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ)رواه البخاري.

فالصيام له منزلة عظيمة عند الله عز وجل فقد نسبه لنفسه مع أن كل العبادات له سبحانه وذلك يدلك على عظم الصيام حتى أن خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وذلك يدل على مكانة الصيام عند الله عز وجل .

(٥)باب. (الحج هو الركن الخامس في الإسلام)

الحج هو ركن من أركان الإسلام الخمسة وله مكانة عظمة في الإسلام وهو فرض واجب على كل مسلم بالغ عاقل مستطيع فمن ملك المال الذي يحج به ويكفي حاجته الضرورية من مأكل وملبس وكان معه من المال مايكفي أولاده وزوجته حتى يرجع لهم وجب عليه الحج .

(١) قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} [آل عمران: ٩٧]

(٢)قال تعالى: ... {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} [البقرة: ١٩٦].

(٣)قال تعالى {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} [الحج: ٢٧].

وحج بيت الله الحرام من أفضل العبادات لله

عز وجل.

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : " إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ". قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ". قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا ؟ قَالَ : " حَجٌّ مَبْرُورٌ)رواه البخاري. فالحج له منزلة كبيرة في دين الله عز وجل وهو سبب في تكفير السيئات

(٥) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ) رواه البخاري.

والحج فرض مرة في العمر فمن حج مرة في عمره فقد أدى ما أوجبه الله عز وجل عليه.

(٦)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : (أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ فَحُجُّوا ". فَقَالَ رَجُلٌ : أَكُلَّ عَامٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ فَسَكَتَ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لَوْ قُلْتُ نَعَمْ ؛ لَوَجَبَتْ، وَلَمَا اسْتَطَعْتُمْ ". ثُمَّ قَالَ : " ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ، وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ، فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ ؛ فَدَعُوهُ)رواه مسلم.

فالحج له مكانة رفيعة في دين الإسلام وترك الحج من من أوجبه الله عليه مع القدرة عليه كبيرة من الكبائر وهو قول عامة أهل العلم وروي عن عمر كفره وحكي ذلك عن الحسن وابن عيينة ومن أنكر وجوب الحج في الإسلام فقال ليس في الإسلام حج فهو كافر مرتد عن الإسلام ولا نعلم في ذلك خلاف بين أهل العلم إلا إن كان حديث عهد بالإسلام أو نشأ في بلد لم يعرف شيء عن الإسلام فإنه يعذر بجهله ويعلم .

(كتاب الإيمان تعريفه وأركانه)

(٦)باب (تعريف الإيمان)الإيمان هو إعتقاد بالجنان وقول باللسان وعمل بالجوارح والأركان.فالإيمان هو إقرار القلب وتصديقه بما جاء به القرآن وبما جائت به السنة مصحوب بالقول والعمل.وأصل الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن قالها موقن بها عالم بمعناها يقولها خالصة من قلبه يبتغي بها وجه الله فهو مؤمن فالإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل وهو بضع وستون أو سبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله.

(١) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ – أَوْ : بِضْعٌ وَسِتُّونَ – شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ)رواه مسلم.

والإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. ولا نعلم خلافا بين أهل السنة في هذا وقد نقل جماعة من العلماء إجماع السلف على زيادة الإيمان ونقصانه.

روي عن أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم: أنه قال سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار، حجازا وعراقا وشاما ويمنا، فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل يزيد وينقص". أخرجه اللالكائي في شرح الاعتقاد .

وقال إبن عبد البر في التمهيد : "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل، ولا عمل إلا بنية، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية".

وقال شيخ الإسلام إبن تيمية في "مجموع الفتاوى "وأجمع السلف أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص". والأدلة على ذلك ما يلي.

(٢) قال تعالى:{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ [٢٧] لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ}

[الفتح: ٤]

(٣) قَالَ تعالى: {لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر: ٣١]

(٤) قَالَ تعالى: {وإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [الأنفال: ٢]

(٥)قَالَ تعالى : {فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا، فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ} [التوبة: ١٢٤]

(٦) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ)رواه البخاري.

فهذه الأدلة تبين أن الإيمان يزيد وينقص والإيمان له ستة أركان ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وسوف نجعل بإذن الله عز وجل لكل ركن من هذه الأركان باب مستقل وسنتحدث عنها بإستفاضة.

(٧) عن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ (بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا رَجُلٌ شَدِيدُ بَيَاضِ الثِّيَابِ شَدِيدُ سَوَادِ الشَّعَرِ، لَا يُرَى عَلَيْهِ أَثَرُ السَّفَرِ، وَلَا يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ حَتَّى جَلَسَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ. وَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " الْإِسْلَامُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ". قَالَ : صَدَقْتَ. قَالَ : فَعَجِبْنَا لَهُ، يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ. قَالَ : " أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ". قَالَ : صَدَقْتَ. قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِحْسَانِ. قَالَ : " أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ ". قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ : " مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ ". قَالَ : فَأَخْبِرْنِي عَنْ أَمَارَتِهَا. قَالَ : " أَنْ تَلِدَ الْأَمَةُ رَبَّتَهَا، وَأَنْ تَرَى الْحُفَاةَ الْعُرَاةَ الْعَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبُنْيَانِ ". قَالَ : ثُمَّ انْطَلَقَ، فَلَبِثْتُ مَلِيًّا. ثُمَّ قَالَ لِي : " يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : " فَإِنَّهُ جِبْرِيلُ، أَتَاكُمْ، يُعَلِّمُكُمْ دِينَكُمْ)رواه مسلم.

(٧)باب الركن الأول من الإيمان هو

(الإيمان بالله)

فالإيمان بالله هو أصل أصول الدين والإيمان بالله هو الإعتقاد الجازم بوجود الله سبحانه وأنه لا إله إلا هو المستحق للعبادة وحده فلا إله غيره ولا رب سواه إله كل شيء وخالق كل شيء ورب كل شيء ومليكه القادر على كل شيء كل شيء بإرادته لا يسأل عما يفعل وهم يسألون له الإسماء الحسنى والصفات العلى فكل ماجاء في القرآن أو في السنة في حقه عز وجل من أسماء وصفات نؤمن بها كما جائت من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل . والإيمان بالله هو أعظم أركان الدين.وإن تكلمنا عنه بإستفاضة لم يكفي فيه باب ولا كتاب ولكننا سنأتي في كتابنا هذا بما يسره الله لنا بإذن الله عز وجل .

فأول سبب في ضلال من ضل هو الجهل وإن من أعظم الجهل هو الجهل في الإيمان بالله عز وجل. فقبل أن تتعلم علوم الدنيا من طب وهندسة وحساب تعلم ماهو الإيمان بالله وقبل أن تحث ولدك على تعليم علوم الدنيا علمه ما هو الإيمان

بالله.فنحن في زمن كثر فيه الجهل بالدين حتى أصبحنا نرى بعض أصحاب العلوم الدنياوية وأصحاب مراكز عالية لا يعلمون ماهو الإيمان الصحيح بالله عز وجل فيقعون في الشرك والبدع بسبب الجهل فتجد منهم من يطلب المدد من الموتا ويطوف حول القبور ويطلب منهم المعونة وينذر لهم ويذبح لهم ويجعلهم وسطاء بينه وبين الله وتجد منهم من ينفي عن الله الوجه وينفي الإستواء عنه وينفي الكلام عنه سبحانه فيقول أن الله يتكلم ولكن ليس بالحرف ولا بالصوت ومنهم من يظن أن الله بذاته معه في كل مكان ولا أدري كيف يصور له عقله أن يكون الله معه وهو يقضي حاجته في الخلاء عياذا بالله وكل هذا بسبب الجهل في الإيمان بالله ونعوذ بالله من الجهل وأهله ونسأله سبحانه أن يثبتنا على الإيمان الحق الذي إرتضاه لعباده وكان عليه نبينا .صلى الله عليه وسلم. وصحابته الكرام رضي الله عنهم جميعا.

فالله سبحانه واحد في ألوهيته فلا إله غيره ولا معبود بحق سواه وهو سبحانه لم يتخذ صاحبة ولا ولد ومن قال أن له ولد أو زوجة أو جعل معه إله آخر فهو كافر فقد كفر اليهود لما قالو عزير إبن الله وكفرت النصارى لما قالو المسيح إبن الله

(١) قال تعالى {وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ} [التوبة: ٣٠]

(٢)قال تعالى: {لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ} [المائدة: ١٧]،

والله عز وجل بين أنه هو الوحد الأحد

(٣)قال: سبحانه في سورة الإخلاص {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ}

(٤)قال تعالى: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) البقرة /١٦٣

(٥)قال تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِماً بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) آل عمران /١٨)
ومن مقتضى شهادة التوحيد أن لا يعبد إلا الله فمن طلب المدد والمعونة من ميت أو ذبح له أوطاف حول قبره أو حلف بغير الله .فقد أشرك وما عمل بمقتضى لا إله إلا الله لأن العبادات لا تنبغي إلا لله فليس معنى أن بعض الصالحين كانوا أتقياء وهم أحياء أنه يجوز طلب المدد منهم والإستغاثة بهم ودعائهم من دون الله بعد الممات فهم وهم أحياء لا يملكون

لأنفسهم ضرار ولا نفعا فكيف وهم أموات فلا يأتي بالفرج ولا بالرزق ولا بالشفاء ولا غير ذلك من الحوائج التي لا يقدر عليها إلا الله إلا الله عز وجل فلا تظن أن بسبب بركتهم وهم أموات يشفعون لك عند الله أو يقربوك من الله فمثل هذا من صفات

أهل الكفر يقولون في الآلهة التي يعبدون من دون الله ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى.

(٦) قال تعالى:(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ)(٤) الزمر) فلا ينبغي أن يعبد غير الله عز وجل فإن له الدين الخالص ومن عمل عمل ليس خالص لوجه الله فقد أشرك مع الله غيره والله عز وجل يتركه وشركه .وهو سبحانه وتعالى واحد في ربوبيته رب الأرباب المنزه عن كل نقص وعيب خالق كل شيء ومدبر كل شيء رازق الخلق ملك الملوك الحي الذي لا يموت السميع البصير

(٧)قال الله تعالى: (أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ) الأعراف /٤٥)

(٨)قال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ) يونس/٣١.)

(٩)قال تعالى: (يُدَبِّرُ الأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ) السجدة /٥.)

(١٠)قال تعالى : (ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) فاطر/١٣.)

سبحانه واحد في أسمائه وصفاته ليس كمثله شيء وهو السميع البصير لا يشبه أحد من خلقه ولا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال عالم كل شيء له الأسماء الحسنى والصفات العلا.

(١١)قال سبحانه وتعالى {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (الشورى /آية١١)

(١٢) قال تعالى: {رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥) مريم} فصفات الله عز وجل ليست تشبه صفات الخلق فهو سميع بصير ولكن سمعه ليس مثل سمع شيء من خلقه وليس بصره مثل بصر

شيء من خلقه وله سبحانه يدين فهل يصح أن نقول يد الله تشبه يد أحد من خلقه بالطبع لا فهو سبحانه ليس كمثله شيء فكل صفات الله عز وجل وأسمائه التي جاءت في القرآن أو في السنة فنحن نؤمن بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تمثيل والتكييف ولا تعطيل ولكن نؤمن بها على حقيقتها كما جاءت فعلى سبيل المثال الله ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة في الثلث الآخير من الليل فنحن نؤمن بذلك كما دلت على ذلك السنة فهل يصح أن نقول أن نزوله مثل نزول البشر حينما ينزلون من مكان مرتفع أو نكلف النفس بمعرفة مالم يبينه الله لنا فنقول طيب إذا كان ينزل فهل ينزل بالعرش أم يترك العرش وينزل بدونه فكل هذا تكلف لا يصح فما أثبته الله لنفسه فنحن نؤمن به من غير تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل وما سكت عنه الله عز وجل ولم يبينه لنا فنحن نسكت عنه ولا نسأل عنه .

وقد بين هذا إمام دار الهجرة مالك إبن أنس حينما سئل عن كيفية الاستواء، فقال: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة". أخرجه اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة .فقد أبدع رحمه الله في جوابه فالاستواء معلوم في اللغة فمعنى استوى على وارتفع ولكن كيف استوى فالكيف مجهول لم يطلعنا الله عليه والإيمان به واجب لأن الله عز وجل ذكره في كتابه.

(١٣) قال عز وجل: {الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوى} [طه: ٥]والسؤال عنه بدعة لأنه مسكوت عنه وما سكت عنه الشرع فنحن نسكت عنه ولا نسأل فيه. فالله سبحانه في السماء مستوي على عرشه سبحانه وسع كرسيه السماوات والأرض

(١٤)يقول جل وعلا: (أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ . أَمْ أَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ) (الملك/١٦-١٧.)

(١٥)يقول الله تعالى : (وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ . يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ)(النحل/٤٩-٥٠.)

(١٦) قال سبحانه {إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} [سورة آل عمران: الآية ٥٥]

(١٧)قال تعالى {إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ} [سورة فاطر: ١٠]

(١٨)روى البخاري حديث طويل وفيه قول النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَلَا تَأْمَنُونِي، وَأَنَا أَمِينُ مَنْ فِي السَّمَاءِ، يَأْتِينِي خَبَرُ السَّمَاءِ صَبَاحًا وَمَسَاءً)

(١٩) روى الإمام مسلم في صحيه عن مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ حديث طويل وفيه (وَكَانَتْ لِي جَارِيَةٌ تَرْعَى غَنَمًا لِي قِبَلَ أُحُدٍ وَالْجَوَّانِيَّةِ، فَاطَّلَعْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا الذِّيبُ قَدْ ذَهَبَ بِشَاةٍ مِنْ غَنَمِهَا، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي آدَمَ آسَفُ كَمَا يَأْسَفُونَ، لَكِنِّي صَكَكْتُهَا صَكَّةً، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَظَّمَ ذَلِكَ عَلَيَّ. قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا أُعْتِقُهَا ؟ قَالَ : " ائْتِنِي بِهَا "، فَأَتَيْتُهُ بِهَا. فَقَالَ لَهَا : " أَيْنَ اللَّهُ ؟ " قَالَتْ : فِي السَّمَاءِ. قَالَ : " مَنْ أَنَا ؟ " قَالَتْ : أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ : " أَعْتِقْهَا، فَإِنَّهَا مُؤْمِنَةٌ)

(٢٠)قال سبحانه وتعالى(وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ) {البقرة:٢٥٥}،

فالله سبحانه مستوي على عرشه في السماء سبحانه وسع كرسيه السموات والأرض له الأسماء الحسنى والصفات العلا وفي هذه الأدلة رد على من قال أن الله في كل مكان ولا أدري كيف يصح من مسلم أن يظن أن الله معه عند قضاء حاجته تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

وما حدث مثل ذلك إلا بالجهل الذي وصل صاحبه لعدم التفريق بين معية الذات وبين معية العلم والإحاطة ومعية والتأييد والحفظ.

فالواجب على المسلم أن يؤمن بما جاء في القرآن والسنة وما جاء في حق الله عز وجل يؤمن به بدون تشبيه ولا تعطيل ولا تمثيل ولا تكييف واعلم أن العقل قاصر لا يعلم إلا ما يدركه فلو كلفت نفسك بالبحث عن مالم يطلع الله عز وجل عليه أحد من البشر أفسدت دينك وعقلك مثل ما حدث مع من أنكر صفة النزول لله عز وجل فقال لو كان الله عز وجل ينزل في ثلث الليل الأخير فإنه سيكون طيلة الأربعة وعشرون ساعة في السماء الدنيا لأن الليل والنهار يختلف من بلد لآخر وبالتالي سيكون في بلد ثلث الليل الأخير وفي بلد آخر الفجر وفي بلد آخر العشاء فكيف يكون في السماء مستوي على عرشه وهو طيلة اليوم والليلة في السماء الدنيا. فمثل هذا أفسد دينه برده ما جاء في السنة وأفسد عقله لتكليفه بما لا يطيق ووقع في هذا لما قاس نزول الله عز وجل بنزول البشر الذي يعرفه العقل ولو أنه آمن بما جاء في الشرع وعلم أن صفات الله ليست

كصفات الخلق لوقف على الحق فلا يصح إعمال العقل في الغيبيات عنه بل نؤمن بكل ما جاء به الشرع واعلم أن هناك ضوابط للعقل فلا يصح تخطيها وإلا فسد وأفسد صاحبه ومن أمثلة ذلك إذا تعرض الشيطان للإنسان بالوساوس في حق الله تبارك وتعالى فإنه يستعيذ بالله وينتهي.

(٢١)روى البخاري مسلم وهذا لفظ البخاري عن أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَأْتِي الشَّيْطَانُ أَحَدَكُمْ فَيَقُولُ : مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ مَنْ خَلَقَ كَذَا ؟ حَتَّى يَقُولَ : مَنْ خَلَقَ رَبَّكَ ؟ فَإِذَا بَلَغَهُ فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَنْتَهِ)

(٨)باب الركن الثاني من الإيمان هو.

(الإيمان بالملائكة)

والإيمان بالملائكة هو الإعتقاد الجازم بوجود الملائكة وأنهم خلق من خلق الله عز وجل كلفهم الله بعبادته مخلوقين من النور ولهم أجنحة نؤمن بكل ماجاء عنهم في القرآن والسنة. وحكم الإيمان بهم واجب .

(١)قَالَ تَعَالَى: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

(٢)قَالَ: تعالى ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١١٣].

(٣)قَالَ: تعالى ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ﴾

[البقرة: ١٧٧].

(٤)قَالَ تَعَالَى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ الآية [فَاطِرٍ: ١]

(٥)عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ)رَوَاهُ مُسْلِمٌ.فقد خلق الله عز وجل الملائكة من نور وجعل لهم أجنحة وعددهم كثير يعلمه الله عز وجل

(٦)قَالَ تعالى ﴿ وَما يَعلَمُ جُنودَ رَبِك إلاّ هُو ﴾

[المدثر: ٣١].

(٧)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنْ النَّبِي صلى الله عليه وسلم –فِي قِصَةِ المِعْرَاجِ– أَنَّهُ قَالَ: (ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ). رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

فالملائكة عددهم كثير وكان خلق الملائكة قبل خلق آدم عليه السلام

(٨)قال تعالى {إِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خالِقٌ بَشَراً مِنْ طِينٍ * فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ} [ص: ٧١ – ٧٢]فالملائكة كانت مخلوقة قبل خلق أبو البشر وأما أشكالهم وألوانهم وأحجامهم فالله هو العالم بها وقد جاء في السنة عن بعض الملائكة ما يدل على عظم خلقتهم

(٩) روى مسلم في صحيحه عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ ، فَقَالَتْ : يَا أَبَا عَائِشَةَ ثَلَاثٌ مَنْ تَكَلَّمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ . قُلْتُ : مَا هُنَّ ؟ قَالَتْ : مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأَى رَبَّهُ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ. قَالَ : وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، أَنْظِرِينِي وَلَا تَعْجَلِينِي، أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : { وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ }، { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى }. فَقَالَتْ : أَنَا أَوَّلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ سَأَلَ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : " إِنَّمَا هُوَ جِبْرِيلُ، لَمْ أَرَهُ عَلَى صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ". فَقَالَتْ : أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : { لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ } ؟ أَوَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ : { وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ } ؟ قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ : { يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ }. قَالَتْ : وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللَّهِ الْفِرْيَةَ، وَاللَّهُ يَقُولُ : { قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ }

(١٠) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِمِائَةِ عَامٍ)رواه أبي داوود بسند حسن .

وقد جاء في القرآن ذكر ملائكة النار ووصفهم بالغلظة والشدة وأنهم لا يعصون الله ما أمرهم.

(١١)قَالَ تَعَالَى: ﴿ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحريم: ٧].

فالملائكة عبيد مكرمون من عبيد الله لا يسبقون الله عز وجل بالقول وهم بأمره يعملون

(١٢)قال تعالى {لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ}

[الأنبياء/٢٧]

فهم خلق من خلق الله أكرمهم الله عز وجل واصطفاهم فهم منقادون لطاعته سبحانه وتعالى لا يستكبرون عن عبادته يسبحون الليل والنهار ولا يفترون.

(١٣)قال تعالى {لا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ}

(الأنبياء .ايه ١٩-٢٠)

وملائكة الله عز وجل ليس كلهم في عمل واحد فمنهم ملائكة الرحمة ومنهم ملائكة العذاب ومنهم حملة العرش ومنهم الحفظة ومن أسمائهم مالك وجبريل وميكال وإسرافيل وقد روي أن ملك الموت إسمه عزرائيل ولم يثبت هذا والأدلة في ذكر الملائكة كثيرة والإيمان بهم من أركان الإيمان الستة فنؤمن بكل ماجاء عنهم في الكتاب والسنة ونسكت عما سكت عنه الشرع.

(٩)باب. الركن الثالث من أركان الإيمان

(الإيمان بالكتب)

فالإيمان بكتب الله عز وجل ركن من أركان الإيمان فلا يصح من مسلم أن ينكر شيء من الكتب السماوية التي جائت من عند الله عز وجل بل من الواجب الإيمان بها كلها فنعتقد إعتقاد جازم بأن جميع الكتب السماوية هي كلام الله عز وجل نؤمن بالتورة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم فنؤمن بجميع الكتب السماوية التي ذكرت في القرآن والسنة ونؤمن أن القرآن آخر هذه الكتب السماوية وقد حفظه الله عز وجل من التحريف والتبديل

(١)قال تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

وأما باقي الكتب فلا نعرف لها وجود إلا الزبور والتوراة والإنجيل وقد دخل فيهم التحريف وكثرت فيهم الإعتقادات الفاسدة .

(٢)قال تعالى: ﴿ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء: ٤٦]،

(٣)قال تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ [المائدة: ١٤، ١٥].

وقد جاء القرآن ناسخ لجميع الكتب السماوية السابقة له

(٤)قال تعالى ﴿ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨].فقد جاء القرآن مهيمنا على جميع الكتب وقد حفظه الله من التحريف والتبديل فجعل أسانيده متواترة بين المسلمين فلا يستطيع أي شخص أن يدخل فيه حرف ولا أن يحذف منه حرف وهذه ميزة إختص الله بها أمة الإسلام لاتوجد عند اليهود ولا النصارى ولا غيرهم فهم ليس لهم أسانيد متصلة لكتبهم فتجد مثلا عندهم تعارض كثير بين الأناجيل وكل منهم يقول هذا هو الإنجيل الصحيح فإذا قولت لي أحدهم إثبت لي ذلك لا يستطيع لأنه ليس معه إسناد متصل أصلا فالأسانيد في الإسلام من نعم الله التي ينبغي علينا أن نحافظ عليها جيل بعد جيل فإجازة بالسند المتصل في القرآن أو السنة هي أفضل شهادات العالم فلولا الأسانيد لضاع الدين فإذا جاء كافرا من الكفار الآن أو ملحد من الملحدين فقال القرآن هذا ليس هو القرآن الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم وإنما جاء به بعض الناس فقال هذا هو القرآن فصدقتم هل يصح قوله هذا بالطبع لا لأن أسانيد القرآن متواترة وكذلك لوجاء أحدهم فشكك في كتاب من كتب السنة فقال مثلا محمد إبن إسماعيل البخاري هذا مات من زمان طويل وأنتم تقولون

هذا صحيح البخاري فما الذي يدريكم نقول له صحيح البخاري أو غيره من كتب السنة له أسانيد متواترة حتى يومنا هذا فتجد كثير من علماء المسلمين معهم أسانيد متصلة بكتب السنة لذلك ينبغي على طالب العلم أن يحصل على شيء من هذه الأسانيد من مشايخه فهي أفضل شهادات الدنيا ولولاها لضاع الدين وشكك فيه من يريد أن يشكك فالحاصل أن الأسانيد المتصلة من النعم التي أنعم بها الله عز وجل على أمة الإسلام وقد حفظ الله عز وجل القرآن من التحريف والتبديل وجعل إسناده من أقوى الأسانيد فإسناده متواتر وقد جعله الله آخر الكتب السماوية وجعله مصدقا لها

(٥)قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقد جعل الله عز وجل الإسلام هو آخر الديانات السماوية وبين أن من يبتغي دين غيره لن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين

(٦) قال تعالى {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ}

[آل عمران: ٨٥]

(٧)قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٥، ١٣٦].

فقد جاء القرآن يحث على الإيمان بالكتب فمن أنكر الإيمان بالكتب السماوية فقال لم يكن هناك كتب سماوية جائت من عند الله فهو كافر إلا إن قال ذلك عن جهل بسبب كونه حديث عهد بالإسلام أو كان في بلد لا يعرف عن الإسلام شيء فإنه يعلم.

وقد ذكر القرآن جملة من الكتب السماوية بأسمائها فقد ذكر الإنجيل والتوراة

(٨) قال تعالى: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ ﴾ [المائدة: ٤٦]

وذكر أيضا الزَّبُور الذي أنزله الله على داود عليه السلام

(٩)قال تعالى: ﴿ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا ﴾

[النساء: ١٦٣].

وذكر أيضا صحف إبراهيم وموسى عليهما السلام.

(١٠)قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى * صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩]

وقد جائت

الكتب والشرائع السماوية تدل العباد على عبودية الله وحده لا شريك له، و بيّنت للناس المنهج المستقيم ويكون حكمًا بينهم

(١١) قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة: ٤٤]،

(١٢)قال تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣]

(١٣)قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقد ختم الله هذه الكتب بالقرآن وبين أن

من لم يحكم بما أنزل الله كافر وأنه لا يكون المؤمن مؤمنا حقا حتى يحكم النبي صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم فالحكم لا يكون إلا بما أنزل الله وبما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١٤)قال تعالى: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [المائدة: ٤٤] والكفر في الآية محمول على كفر العمل فهو كفر دون كفر

(١٥)قال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥).

(١٠)باب.الركن الرابع من أركان الإيمان (الإيمان بالرسل)

و الإيمان بالرسل: هو التصديق الجازم بأن الله عز وجل بعث في كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكفر بما يعبد من دونه،فلا توجد أمة إلا وقد بعث الله لهم نذير ينذر قومه ويبين لهم الحق من الضلال ويخبرهم بما أمره الله به وهم كثير منهم من ذكرهم الله في كتابه وأعلمنا بأسمائهم ومنهم من لم يطلعنا الله عليهم. وكان كل نبي يرسل إلى قومه خاصة وبعث نبينا.صلى الله عليه وسلم. للناس عامة وكل الرسل كانت دعوتهم واحدة وهي عبادة الله وحده وإن إختلفت شرائعهم في الفروع إلا أن أصل دينهم واحد وهو توحيد الله عز وجل.

(١)قال الله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل/٣٦].

(٢)قال الله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء/١٦٣].فقد أوحى ربنا تبارك وتعالى للأنبياء وبين لهم الحق من الضلال ليخرجو الناس من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد وهذا هو الأصل الذي دعى جميع الرسل إليه

(٣) قال تعالى{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ} [الشورى/١٣]

(٤)قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ} [الكهف/١١٠] فكان أصل دعوة الرسل هي عبادة الله وحده لا شريك له وهذا هو أصل دين الإسلام خاتم الديانات السماوية فأول ركن في الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أمره الله عز وجل أن يقول .إنما أنا بشر مثلكم. فالليس هو ملك مرسل ولا إله يعبد وأصل دعوته هي .أنما إلهكم إله واحد. وقد أرسل ربنا تبارك وتعالى في كل أمة رسول حتى لا يكون للناس حجة بعد الرسل .

(٥)قال سبحانه: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}

[النساء/١٦٥]. وقد جعل الله عز وجل كل الرسل من الرجال

(٦)قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣)(النحل) وكان كل نبي يبعث لقومه خاصة وبعث النبي صلى الله عليه وسلم للناس عامة.

(٧) عن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي : نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا ؛ فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً)رواه البخاري. وعدد الأنبياء والرسل كثير منهم من ذكرهم الله عز وجل بأسمائهم ومنهم من لم يخبرنا بهم

(٨) قال الله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ} [غافر/٧٨]

وقد ذكر الله عز وجل منهم في كتابه

"خمسة وعشرون" نبيا بأسمائهم وهم

.آدم.نوح.إدريس.إبراهيم.إسحاق.يعقوب.داوود .سليمان.أيوب.إلياس.إسماعيل.إليسع.

صالح.شعيب. ذى الكفل

يونس.لوط.هود.يوسف.موسى.هارون.

زكريا .يحيى. عيسى.

محمد. عليهم جميعا الصلاة والسلام.

(٩)قال تعالى {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا (١١٥)} [طه/١١٥].

(١٠) قال الله تعالى {وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٨٣) وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٤) وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ (٨٥) وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ (٨٦) وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٨٧) ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٨) أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ} [الأنعام/٨٣-٨٩].

(١١)قال تعالى {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦)} [مريم/٥٦].

(١٢) قال تعالى {كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٢٤) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٢٥)} [الشعراء/١٢٣- ١٢٥].

(١٣)قال تعالى {كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣)} [الشعراء/١٤١- ١٤٣].

(١٤) قال تعالى {كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ (١٧٦) إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٧٧) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٧٨)} [الشعراء/١٧٦- ١٧٨].

(١٥) قال تعالى {وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ (٤٨)} [ص/٤٨].

(١٦) قال سبحانه:{مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ} [الأحزاب/٤٠].

فقد جعل ربنا تبارك وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين.أرسله ربه رحمة للعالمين ليخرج الناس من الظلمات إلى النور.

(١٧)قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢) } [الجمعة/ ٢].

(١٨)قال تعالى {تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا (١)} [الفرقان/١].

(١٩)قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٢٨)} [سبأ/٢٨].

(٢٠)قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ (١٠٧)} [الأنبياء/١٠٧].

فالإيمان بالرسل واجب فنؤمن بكل ما جاء عنهم في القرآن والسنة فالله عز وجل قد أصطفاهم لرسالته وعصمهم من الخطأ في التبليغ عنه سبحانه وتعالى وكانت لا تنام قلوبهم إذا نامو ولا تأكل الأرض أجسادهم بعد الممات وما مرض أحدهم إلا خير بين الدنيا والآخرة فهم خير خلق الله عز وجل نعظمهم كلهم ونجلهم لا نفرق بين أحد منهم فهم أسياد البشر عليهم جميعا الصلاة والسلام.

(١١)باب .الركن الخامس من أركان الإيمان (الإيمان باليوم الآخر)

وهو الإعتقاد الجازم بأن يوم القيامة آت لا محالة وهو اليوم الذي يفصل الله فيه بين العباد فمنهم من يدخل الجنة برحمة الله ومنهم من يدخل النار بعمله وهذا اليوم العظيم فيه من يكرمه الله عز وجل ويظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .ومنهم من يكون في كرب ويكون الناس فيه على أحوال فمنهم من يبلغ عرقه إلى كعبيه ومنهم من يصل عرقه إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ عرقه إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما في ذلك اليوم العسير على الكافرين غير يسير يوم تدنو الشمس من الرؤوس ويحشر فيه الناس حفاة عراة غرلا .يعني بدون ختان.فهذا اليوم الآخر الذي يحاسب فيه العباد فمنهم من يحاسب حسابا يسيرا وهو العرض ومنهم من يحاسب ويناقش في حسابه وما نوقش أحد الحساب إلا عذب .فالإيمان باليوم الآخر واجب وإنكاره كفر والأدلة عليه في الكتاب والسنة كثيرة جدا والواجب على المسلم أن يؤمن بكل ما جاء فيه في القرآن والسنة فيؤمن بكل ماذكره الله عن اليوم الآخر أو ذكره نبيه صلى الله عليه وسلم .وأسماء اليوم الآخر كثيرة.منها يوم القيامة.ويوم التلاق .ويوم الأزفة.والقارعة.والساعة.

(١)قال تعالى{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة: ١]

(٢)قال تعالى{رَفِيعُ الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ } [غافر:١٥]

(٣)قال تعالى {وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨:غافر)

(٤)قال تعالى { الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣)"القارعة"

(٥)قال تعالى {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} (١:القمر)

فايوم القيامة حق لا شك فيه ومن أنكر وجود اليوم الآخر كافر مكذب لصريح القرآن وصريح السنة إلا إن كان حديث عهد بالإسلام ولا يعرف شيء عنه فإنه يعلم فايوم القيامة حق لا ريب فيه

(٦)قال تعالى ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴾

[آل عمران: ٩].

فالإيمان به واجب وقد ذكر الله المتقين وبين صفتهم الذين يؤمن بما أنزل على نبينا صلى الله عليه وسلم ويؤمن بما انزل على الرسل قبله و أنهم يقينون بالآخرة

(٧) قال تعالى﴿ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ * أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [البقرة: ٤، ٥].

فالإيمان اليوم الآخر ركن من أركان الإيمان والإيمان به صفة من صفات عباد الله الصالحين

(٨) قال تعالى﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ * الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾

[البقرة: ٤٥، ٤٦].

(٩)قال تعالى﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٦٢].

(١٠) قال تعالى﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٧]فالأدلةوالآيات كثيرة في ذكر اليوم الآخر والإيمان به أمر معلوم من الدين بالضرورة لا يجهله مسلم فكل المسلمين برهم وفاجرهم يعلمون أن هناك يوم حساب فلا ينكر يوم القيامة إلا كافر

(١١) قال تعالى﴿ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ * فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ * وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ * قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ * إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ * فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [يس: ٤٨ – ٥٤].

فالله عز وجل جامع الناس في هذا اليوم العظيم وأهل الإسلام يومنون بكل ماجاء في شأنه في القرآن والسنة جملة وتفصيلا وإن إختلفت درجات علمهم فيه فالذي علمه قليل إذا عرف شيء عن يوم القيامة جاء في القرآن أو في السنة فإنه يؤمن به بمجرد معرفته له فإذا كان يوم القيامة نفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء ربك ثم نفخ فيه آخرى فإذا هم قيام ينظرون

(١٢)قال تعالى (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ)

[سورة الزمر: ٦٨]

(١٣)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : (بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ جَاءَ يَهُودِيٌّ فَقَالَ : يَا أَبَا الْقَاسِمِ، ضَرَبَ وَجْهِي رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِكَ. فَقَالَ : " مَنْ ؟ " قَالَ : رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ. قَالَ : " ادْعُوهُ " فَقَالَ : " أَضَرَبْتَهُ ؟ ". قَالَ : سَمِعْتُهُ بِالسُّوقِ يَحْلِفُ : وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَى الْبَشَرِ. قُلْتُ : أَيْ خَبِيثُ، عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فَأَخَذَتْنِي غَضْبَةٌ، ضَرَبْتُ وَجْهَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تُخَيِّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَكُونُ

أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ، فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى آخِذٌ بِقَائِمَةٍ مِنْ قَوَائِمِ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ أَمْ حُوسِبَ بِصَعْقَةِ الْأُولَى)رواه البخاري. فالحديث يدل على صعق الناس وأن أول من تنشق عنه الأرض نبينا صلى الله عليه وسلم وفيه دليل على عدم تفضيل بعض الأنبياء على بعض فلا نفرق بين أحد منهم فكلهم رسول من عند الله وعبيد له لهم المنزلة الرفيعة والدرجة العالية الله يفضل بعضهم على بعض كيف شاء وكما شاء أما نحن فلا نخير منهم أحد على أحد فإذا كان يوم القيامة نفخ في الصور فصعق من أراد الله أن يصعق

وبين النفختين أربعين.

(١٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ ". قَالَ : أَرْبَعُونَ يَوْمًا. قَالَ : " أَبَيْتُ ". قَالَ : أَرْبَعُونَ شَهْرًا. قَالَ : " أَبَيْتُ ". قَالَ : أَرْبَعُونَ سَنَةً. قَالَ : " أَبَيْتُ ". قَالَ : " ثُمَّ يُنْزِلُ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ

٤٩٣٥ (م) لَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَى، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ).رواه البخاري ومسلم.فالله عز وجل جعل بين النفختين أربعين فسئل أبو هريرة عن تحديد المقصود بالأربعين فقال ابيت يعني لم يقف فيه على علم يحدد الأربعين فأبى أن يتكلم بغير علم وهذا أدب رفيع ينبغي علينا أن نتعلمه أننا لا نتكلم إلا بالعلم فليس من العيب أن تقول فيما لا تعلم الله أعلم فمن قال الله أعلم فقد أفتى وكل شيء يبلى من إبن آدم إلا عظم واحد وهو عجب الذنب .وهو عظم لطيف أسفل الصلب أقل من حبة الخردل أو مثلها فالله عز وجل يبعث الموتى وييحيهم فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ .والبقل هو كل نبات عشبي يتغذى به الإنسان أو بجزء منه.

و الله تبارك وتعالى يبعث من في القبور

والبعث هو إحياء الموتى من قبورهم للحساب يوم القيامة .

(١٥)قال الله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ [يس: ٧٨، ٧٩].

(١٦) قال تعالى: ﴿ مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [لقمان: ٢٨].

(١٧) قال تعالى: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن: ٧].

(١٨)قال تعالى: ﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].فإذا جاء يوم القيامة نفخ في الصور وصعق الله من أراد أن يصعق من خلقه ونفخ فيه مرة آخرى فإذاهم قيام ينظرون ويحشر الخلق لربهم تبارك وتعالى فلا يظلم ربك أحدا حتى يقضي بين الشاة الجلحاء والشاة القرناء وأحوال الناس في أرض المحشر تختلف فمنهم من يظله الله تحت ظل عرشه ومنهم من يكون نورهم بين أيديهم وبأيمانهم وتدنو الشمس من الرؤوس فمنهم من يبلغ عرقه إلى كعبيه ومنهم من يبلغ عرقه إلى ركبتيه ومنهم من يبلغ عرقه إلى حقويه أي عند الخصر موضع شد الإزار ومنهم من يلجمه العرق إلجاما يعني يصل عند فمه فيلجمه

(١٩)عن الْمِقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْخَلْقِ، حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ ". قَالَ سُلَيْمُ بْنُ عَامِرٍ : فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، مَا يَعْنِي بِالْمِيلِ ؟ أَمَسَافَةَ الْأَرْضِ ؟ أَمِ الْمِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ الْعَيْنُ ؟ قَالَ : " فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي الْعَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى حَقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ الْعَرَقُ إِلْجَامًا ". قَالَ : وَأَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ)رواه مسلم.

في هذا اليوم العظيم وفي هذا الموقف المهيب موقف الحشر الذي

(٢٠) قال الله في شأنه﴿ وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ٤٧]

وفي هذا اليوم تبدل الأرض غير الأرض وبرزو لله الواحد القهار

فتكون الأرض بيضاء نقية.

(٢١)عن سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ ، قَالَ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ كَقُرْصَةِ نَقِيٍّ ". قَالَ سَهْلٌ أَوْ غَيْرُهُ : لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ)رواه البخاري وهو عند مسلم بدون قول قال سهل أو غيره .

في هذا الموقف العسير على الكافرين يقف العبيد بين يدي الله عز وجل

(٢٢)قال تعالى: ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ويحشر الناس حفاة عراة غرلا يعني بدون ختان وأول من يكسى من الخلائق سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ويؤخذ برجال من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ذات الشمال لأنهم إرتدو على أعقابهم.

(٢٣) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (نَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا ". ثُمَّ قَرَأَ : { كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ }. " وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ : أَصْحَابِي أَصْحَابِي. فَيَقُولُ : إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ الْعَبْدُ الصَّالِحُ : { وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ } إِلَى قَوْلِهِ : { الْحَكِيمُ } "رواه البخاري.

وفي هذا اليوم يضرب الصراط على متن جهنم وله كلاليب مثل شوك السعدان تخطف في النار من أراد الله له الدخول فيها وتخدش من أراد الله أن تخدشه وسرعة الناس على الصراط مختلفة وأول من يجاوز الصراط النبي صلى الله عليه وسلم وأمته

(٢٤)عن أبي هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا (يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : " هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ؟ " قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ ". قَالُوا : لَا. قَالَ : " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ : هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ. قَالَ : " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ

لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ، فَيَقُولُ : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ، قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ : فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ : وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ : تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مِنْ كَذَا وَكَذَا. أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ ". قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " قَالَ اللَّهُ : لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ.)رواه البخاري. هذا الحديث من الآحاديث الجامعة التي تشمل على كثير من أمور يوم القيامة فافيه إثبات رؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة وأن الله عز وجل يؤمر أن تتبع كل أمة ماكانت تعبد فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت قيل المقصود بالطواغيت الأصنام وقيل الطاغوت هو كل ما يعبد من دون الله وتبقى أمة النبي صلى الله عليه وسلم وفيها منافقوها

وفي هذا اليوم العظيم يعطى النبي صلى الله عليه وسلم نهر الكوثر الذي ذكره الله تعالى

(٢٥)فقال سبحانه ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾

[الكوثر: ١]

(٢٦)عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ (سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : { إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ }. قَالَتْ : نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ.)رواه البخاري.

(٢٧) عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ ؟ قَالَ (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخُبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ)رواه مسلم. ومن فضل الله عز وجل أن جعل عدد آواني الحوض أكثر من نجوم وكواكب السماء ومائه أبيض من اللبن وأحلى من العسل من شرب منه شربه لا يظمأ بعدها أبدا

(٢٨) عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا)رواه البخاري

(٢٩)عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ".

٦٥٨٤ قَالَ أَبُو حَازِمٍ : فَسَمِعَنِي النُّعْمَانُ بْنُ أَبِي عَيَّاشٍ فَقَالَ : هَكَذَا سَمِعْتَ مِنْ سَهْلٍ ؟ فَقُلْتُ : نَعَمْ. فَقَالَ : أَشْهَدُ عَلَى أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ لَسَمِعْتُهُ وَهُوَ يَزِيدُ فِيهَا : " فَأَقُولُ : إِنَّهُمْ مِنِّي. فَيُقَالُ : إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ : سُحْقًا سُحْقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي ". وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : سُحْقًا : بُعْدًا. يُقَالُ : سَحِيقٌ : بَعِيدٌ، سَحَقَهُ وَأَسْحَقَهُ : أَبْعَدَهُ.)رواه البخاري.

وإذا جاء يوم القيامة توزن أعمال العباد بالميزان والميزان له كفتان توضع فيها أعمال العباد ولا نعلم خلافا بين أهل السنة على هذا وروي عن إبن عباس والحسن ما يدل على أن الميزان له لسان ولا نعرف حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم صريح يذكر أن الميزان له لسان وقد

قال أبو إسحاق الزجاج: «أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان ويميل بالأعمال، وأنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن العدل، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال؛ ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين»

(٣٠)قال تعالى: ﴿ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

(٣١)قال تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾

[الأنبياء: ٤٧].

(٣٢)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ : سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ)رواه البخاري .

(٣٣)عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ، أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا)رواه مسلم. فهذه الأدلة قاطعة في أن أعمال العباد توزن يوم القيامة في الميزان فمنهم من تثقل موازينه ومنهم من تخف موازينه.

وفي هذا اليوم العظيم يبحث الناس على من يشفع لهم فيذهبون لآدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم جميعا الصلاة والسلام فلا يشفع لهم أحد منهم فيذهبون لي نبينا صلى الله عليه وسلم فيقع ساجد لربه ويشفع لأمته صلى الله عليه وسلم.

(٣٤)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً، ثُمَّ قَالَ : (أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَلِكَ ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ ؛ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ يُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرُ، وَتَدْنُو الشَّمْسُ فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ، وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ

النَّاسُ : أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ : عَلَيْكُمْ بِآدَمَ. فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ ؛ خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا ؟ فَيَقُولُ آدَمُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ، فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ. فَيَأْتُونَ نُوحًا، فَيَقُولُونَ : يَا نُوحُ، إِنَّكَ أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللَّهُ عَبْدًا شَكُورًا، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ. فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ، فَيَقُولُونَ : يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ، وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ – فَذَكَرَهُنَّ أَبُو حَيَّانَ فِي الْحَدِيثِ – نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى. فَيَأْتُونَ مُوسَى، فَيَقُولُونَ : يَا مُوسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، وَبِكَلَامِهِ عَلَى النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فَيَأْتُونَ عِيسَى، فَيَقُولُونَ : يَا عِيسَى، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، اشْفَعْ لَنَا، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَيَقُولُ عِيسَى : إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ – وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا – نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُونَ : يَا مُحَمَّدُ، أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ فَأَنْطَلِقُ، فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ. فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ : أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ. فَيُقَالُ : يَا مُحَمَّدُ، أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْبَابِ الْأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ. وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَبْوَابِ. ثُمَّ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ الْمِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الْجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ، وَحِمْيَرَ، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ، وَبُصْرَى)رواه البخاري.

(١٢)باب. الركن السادس من أركان الإيمان(الإيمان بالقدر) وهو الإعتقاد الجازم والتصديق بأن كل شيء خلقه الله بقدر فلا يحدث شيء في السموات والأراضين إلا بتقدير الله ومشيأته .

فكلُّ شيء في الكون الله عليم به، وكتبه في اللوح المحفوظ، وشاء أن يكون، وخلقه بقدرته ولا يولد أحد من خلقه أويموت أو يمرض أويشقا أو يسعد أو يكون غني أو فقير إلا بإرادة الله وتقديره فكل شيء مكتوب ومقدر

(١)قال تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩].فكل شيء في ملك الله يخضع لإرادة الله

(٢)قال تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ * لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

فكل شيء مقدر ومكتوب فإذا أصابتك مصيبة في الأهل أو النفس أو المال فاصبر واعلم أنه مقدر مكتوب فلا يصح إيمان العبد حتى يؤمن بالقدر فكل شيء مكتوب فلا تحزن على رزق فاتك فالذي خلقك لا ينساك فاعبد الله كما أمرك ولا تخشى من الفقر لو كان رزق العبد على العبد كان قطعه ولكن الله هو الذي تكفل بالرزق

(٣)قال تعالى ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [هود: ٦].

فالله عز وجل يكتب رزق العبد وآجله وعمله وشقي أم سعيد وهو في بطن أمه

(٤)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ : (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعٍ : بِرِزْقِهِ وَأَجَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَاللَّهِ إِنَّ أَحَدَكُمْ – أَوِ الرَّجُلَ – يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ بَاعٍ أَوْ ذِرَاعٍ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا غَيْرُ ذِرَاعٍ أَوْ ذِرَاعَيْنِ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا ". قَالَ آدَمُ : إِلَّا ذِرَاعٌ)رواه البخاري.

فاعلم أن كل شيء مقدر ومكتوب فلا تقل لوأني فعلت كذا لكان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان فإذا إبتليت بفقر أو مرض فتذكر نبي الله أيوب عليه السلام وإذا إبتليت بموت عزيز فتذكر موت النبي صلى الله

عليه وسلم واعلم أن الكل سيموت وإذا إبتليت بعدم الزواج أو عدم الخلفة فلا تحزن فقد مات شيخ الإسلام إبن تيمية ولم يمس إمرأة قط وكذلك شيخ المفسرين الطبري وكذلك الإمام النووي ماتو ولم يتزوجو وكثير من الصالحين من يبحث عن ذات الدين ولا يجد ولا يعاونه إخوانه ولو كانو مؤمنين حقا ما تركو إخوانهم في حاجة للعفاف والستر ولكن نحن في زمان غربة ومن حرم الأولاد فلا يحزن فقد قيل عن حماد إبن سلمة علامة الحديث أنه تزوج مائة إمرأة ولم ينجب أطفالا فالإبتلائات كلها مقدرة ومكتوبة . قال إبن القيم رحمه الله في "الفوائد" ص ١٦٣ : في شرحه للحديث" وأما كون الرجل يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب ، فإن هذا عمل أهل الجنة فيما يظهر للناس ، ولو كان عملا صالحا مقبولا للجنة قد أحبه الله ورضيه لم يبطله عليه . وقوله : (لم يبق بينه وبينها إلا ذراع) يشكل على هذا التأويل ، فيقال : لما كان العمل بآخره وخاتمته ، لم يصبر هذا العامل على عمله حتى يتم له ، بل كان فيه آفة كامنة ونكتة خُذل بها في آخر عمره ، فخانته تلك الآفة والداهية الباطنة في وقت الحاجة ، فرجع إلى موجبها ، وعملت عملها ، ولو لم يكن هناك غش وآفة لم يقلب الله إيمانه ... والله يعلم من سائر العباد ما لا يعلمه بعضهم من بعض " انتهى .

(٥)قال تعالى ﴿ وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [الأنعام: ٥٩].

(٦)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)رواه مسلم.

(٧)، عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جَنَازَةٍ، فَأَخَذَ شَيْئًا، فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِهِ الْأَرْضَ، فَقَالَ : (مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ ؟ قَالَ : " اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ ؛ أَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ". ثُمَّ قَرَأَ : { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى } { وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى }. الْآيَةَ.)رواه البخاري.فكل شيء مقدر عند الله سبحانه مكتوب حتى مقعد الإنسان من الجنة والنار فالنبي صلى الله عليه وسلم كان في جنازة فأخذ شيأ وجعل ينكت به يعني يخط في الأرض به خطوط يسيرة مرة تلو الآخرى ثم أخبر أصحابه أن كل نفس كتب الله مكانها من الجنة والنار فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل يعني إذا كان كل واحد مقدر له إن كان من أهل الجنة أو من أهل

النار فالماذا نعمل فأمر النبي صلى الله عليه وسلم .بالعمل وقال إعملو فكل ميسر لما خلق له. وليس معنى ذلك أن الله يجبر أحد من عباده على فعل المعاصي ولا على فعل الطاعات ولكن المقصود أن الله عالم بخلقه من سيطيعه فيكون من أهل الجنة ومن سيعصيه فيكون من أهل النار ومن تمام عدله سبحانه أن بين للعباد الحق من الضلال ولم يجبر أحد وإنما جعل الإنسان مخير في أفعاله وليس مسير

(٨)قال تعالى ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[الإنسان: ٣]

فلا يصح أن يقول أحد أنا أعصي لأن الله كتب لي المعصية ولو أراد لي الجنة لكتب لي وقدر لي أن أعمل بعمل أهل الجنة فأنا مسير رغما عني فهذا كلام أهل الهوى فكتابة الله وتقديره ليس معناهم الإجبار ولكن الله عليم بكل شيء فقدر وكتب كل شيء سبحانه المنزه عن كل نقص وعيب. فهو يعلم أن عبده سيطيعه ويكون من أهل الجنة أم سيعصيه ويكون من أهل النار

(٩) قال تعالى (أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ)

(الملك – ١٤)فهو سبحانه عليم بكل شيء وهو مقدر كل شيء فالإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان فلا يصح إيمان العبد إلا به ولا ينكره إلا ضال وقد إنحرفت جماعة عن منهج أهل الإسلام أهل السنة والجماعة وأنكرو القدر فلقبو بالقدرية وأول من أنكر القدر في البصرة معبد الجهني

(١٠)عَنْ يَحْيَى بْنِ يَعْمَرَ "وهو جزء من حديث طويل" قَالَ : كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ فِي الْقَدَرِ بِالْبَصْرَةِ مَعْبَدٌ الْجُهَنِيُّ، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَحُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحِمْيَرِيُّ حَاجَّيْنِ أَوْ مُعْتَمِرَيْنِ، فَقُلْنَا : لَوْ لَقِينَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْنَاهُ عَمَّا يَقُولُ هَؤُلَاءِ فِي الْقَدَرِ، فَوُفِّقَ لَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ دَاخِلًا الْمَسْجِدَ، فَاكْتَنَفْتُهُ أَنَا وَصَاحِبِي أَحَدُنَا عَنْ يَمِينِهِ وَالْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ، فَظَنَنْتُ أَنَّ صَاحِبِي سَيَكِلُ الْكَلَامَ إِلَيَّ. فَقُلْتُ : أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، إِنَّهُ قَدْ ظَهَرَ قِبَلَنَا نَاسٌ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ، وَيَتَقَفَّرُونَ الْعِلْمَ، وَذَكَرَ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَأَنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنْ لَا قَدَرَ، وَأَنَّ الْأَمْرَ أُنُفٌ . قَالَ : فَإِذَا لَقِيتَ أُولَئِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنِّي بَرِيءٌ مِنْهُمْ، وَأَنَّهُمْ بُرَآءُ مِنِّي، وَالَّذِي يَحْلِفُ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ لَوْ أَنَّ لِأَحَدِهِمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، فَأَنْفَقَهُ مَا قَبِلَ اللَّهُ مِنْهُ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ)رواه مسلم.

(١٣)باب.

(الإيمان بأن ملك الموت يقبض أرواح العباد)

فملك الموت هو الموكل بقبض أرواح العباد برهم وفاجرهم ومعه ملائكة يعاونوه فإذا قبض ملك الموت روح العبد أخذت الملائكة الروح وصعادو بها إلى السماء فإذا كان العبد صالحا فتحت لروحه أبواب السماوات وإذا كان كافر لم تفتح لروحه أبواب السماء و ترسل من السماء فتصير إلى القبر

(١)قال تعالى (قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)[السجدة:١١]

(٢)قال تعالى (حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ)[الأنعام: ٦١] فملك الموت موكل من قبل الله عز وجل بقبض أرواح العباد ومعه ملائكة مرسلين من قبل الله لا يفرطون في أوامره وهم بأمره يعملون.

(٣)عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الْمَيِّتُ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَالِحًا قَالُوا : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : فُلَانٌ. فَيُقَالُ : مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً، وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ، وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ، حَتَّى يُنْتَهَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي فِيهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ، قَالَ : اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، اخْرُجِي ذَمِيمَةً، وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ، وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٍ. فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ، ثُمَّ يُعْرَجُ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَلَا يُفْتَحُ لَهَا، فَيُقَالُ : مَنْ هَذَا ؟ فَيُقَالُ : فُلَانٌ. فَيُقَالُ : لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ، كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً، فَإِنَّهَا لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ. فَيُرْسَلُ بِهَا مِنَ السَّمَاءِ، ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ)رواه ابن ماجة بسند صحيح

فالمؤمن تبشره الملائكة وتكرمه وأما الكافر فتبشره بغضب الله وسخطه وعذابه.فشتان بين من كان صالحا آمن بما قال الله وبما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين الكافر أو المنافق عياذا بالله الذي تبشره الملائكة بعذب الله وسخطه بل إن المنافق تضربه الملائكة

(٤)قال تعالى (فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ (٢٧) ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ (٢٨)} [محمَّد] فالملائكة تضرب المنافقين الذين إتبعو ما أسخط الله وكرهو رضوانه فأحبط الله أعمالهم فانظر إلى حال الكافرين والمنافقين وانظر إلى حال أهل الصلاح والتقوى الذين تبشرهم الملائكة بالجنة وتطمئنهم ويقولون لهم ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون.

(٥) قال الله عز وجل {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ * نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت:٣٠ – ٣٢]

(١٤) باب الإيمان

(بسؤال العبد في قبره عن ربه ودينه ونبيه)

أهل الإسلام يؤمنون بكل ما جاء في القرآن والسنة جملة وتفصيلا ويؤمنون بالغيب فكل ماجاء من الغيبيات في القرآن والسنة يؤمنون ويصدقون به ومن هذه الغيبيات الإيمان بسؤال العبد في قبره عن ربه وعن دينه وعن نبيه فإذا مات العبد المؤمن وسؤل عن ربه وعن دينه وعن نبيه فإن الله عز وجل يثبته على قول الحق.

(١)قال تعالى: {يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧)} [إبراهيم: ٢٧].

(٢) عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ } ". قَالَ : " نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ : مَنْ رَبُّكَ ؟ فَيَقُولُ : رَبِّيَ اللَّهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ { يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } رواه مسلم. فالله عز وجل يثبت المؤمن عند السؤال كما ثبته عليه

في الدنيا فإذا سؤل من ربك قال ربي الله وإذا سؤل عن دينه فيما كنت قال في الإسلام وإذا سؤل عن نبيه قال محمد صلى الله عليه وسلم جائنا بالبينات من عند الله عز وجل فصدقناه وأما العبد السوء عياذا بالله فلا يوفق لقول الحق

(٣)عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ :(جَاءَتْ يَهُودِيَّةٌ فَاسْتَطْعَمَتْ عَلَى بَابِي، فَقَالَتْ : أَطْعِمُونِي، أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ : فَلَمْ أَزَلْ أَحْبِسُهَا حَتَّى جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا تَقُولُ هَذِهِ الْيَهُودِيَّةُ ؟ قَالَ : " وَمَا تَقُولُ ؟ " قُلْتُ : تَقُولُ : أَعَاذَكُمُ اللَّهُ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا يَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ، وَمِنْ فِتْنَةِ عَذَابِ الْقَبْرِ، ثُمَّ قَالَ : " أَمَّا فِتْنَةُ الدَّجَّالِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ إِلَّا قَدْ حَذَّرَ أُمَّتَهُ، وَسَأُحَذِّرُكُمُوهُ تَحْذِيرًا لَمْ يُحَذِّرْهُ نَبِيٌّ أُمَّتَهُ، إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ : كَافِرٌ، يَقْرَؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، فَأَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ فَبِي تُفْتَنُونَ ، وَعَنِّي تُسْأَلُونَ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَزِعٍ وَلَا مَشْعُوفٍ ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : فِي الْإِسْلَامِ. فَيُقَالُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَصَدَّقْنَاهُ، فَيُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا وَقَاكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ إِلَى الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، وَيُقَالُ : عَلَى الْيَقِينِ كُنْتَ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السَّوْءُ أُجْلِسَ فِي قَبْرِهِ فَزِعًا مَشْعُوفًا، فَيُقَالُ لَهُ : فِيمَ كُنْتَ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي. فَيُقَالُ : مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ فِيكُمْ ؟ فَيَقُولُ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ قَوْلًا فَقُلْتُ كَمَا قَالُوا، فَتُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ الْجَنَّةِ فَيَنْظُرُ إِلَى زَهْرَتِهَا وَمَا فِيهَا، فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَا صَرَفَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَنْكَ، ثُمَّ يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قِبَلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ : هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُعَذَّبُ)رواه أحمد بسند صحيح.

(٤) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ – لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ : انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ. فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا ". قَالَ قَتَادَةُ : وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ : " وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالْكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ : لَا أَدْرِي، كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ : لَا دَرَيْتَ وَلَا تَلَيْتَ .

وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ)رواه البخاري. فعندما يموت الإنسان ويوضع في قبره فإنه يسمع صوت نعال المشيعين حينما يتركوه ويذهبون ويسأله الملكان فإن كان صالحا ثبته الله على القول الحق وإن كان كافرا أو منافقا لم يوفق ويقول لا أدري فيضرب بمطارق من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها كل من يليه إلا الجن والإنس.وقد روي أن الملكين الذين يسألان العبد أحدهما إسمه المنكر والآخر النكير وفي حديث عمر إبن الخطاب منكر ونكير بدون الألف والام ولم نعرف لهذا سند صحيح يثبت الحديث به فقد جاء عند الترمذي في سننه

(٥) قال حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ يَحْيَى بْنُ خَلَفٍ الْبَصْرِيُّ ، قَالَ : حَدَّثَنَا بِشْرُ بْنُ الْمُفَضَّلِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ ،

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِذَا قُبِرَ الْمَيِّتُ – أَوْ قَالَ : أَحَدُكُمْ – أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا : الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ : النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ : مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ : هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولَانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ : نَمْ. فَيَقُولُ : أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ ؟ فَيَقُولَانِ : نَمْ كَنَوْمَةِ الْعَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ : سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ : لَا أَدْرِي، فَيَقُولَانِ : قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ. فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ : الْتَئِمِي عَلَيْهِ. فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا، حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ)وهذا الحديث في سنده عبد الرحمن إبن إسحاق مختلف فيه قال عنه إبن خثيمة لا بأس به وضعفه يحيى القطان وإبن المديني وقال عنه أبو حاتم يكتب حديثه ولا يحتج به

(٦)ذكر السيوطي في شرح الصدور عن النبي صلى الله عليه وسلم

قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ لعمرَ بنِ الخطابِ رضيَ اللهُ عنهُ : يا عمرُ كيفَ بك إذا متَّ ، فقاسوا لك ثلاثةَ أذرعٍ وشبرًا في ذراعٍ وشبرٍ ، ثم رجعوا إليك وغسَّلوكَ وكفَّنوك وحنَّطوك ، ثم احتملوك حتى يضعوكَ فيه ، ثم يُهيلوا عليك الترابَ ، فإذا انصرفوا عنك أتاك فتَّانا القبرِ : منكرٌ ونكيرٌ أصواتُهما كالرعدِ القاصفِ ، وأبصارُهما كالبرقِ الخاطفِ ، فتلتلاكَ وثرثراكَ

وهولاكَ ، فكيفَ بك عِندَ ذلك يا عمرُ ؟ قال : يا رسولَ اللهِ ، ومعي عَقْلي ؟ قال : نعم قال : إذن أَكْفِيكُهما)وهو حديث ضعيف لا يثبت.

(١٥)باب الإيمان(بعذاب القبر ونعيمه)

عذاب القبر ونعيمه حق والإيمان به واجب ولا نعلم خلافا بين أهل السنة على ذلك . فلا ينكره إلا ضال منحرف عن الحق والعذاب والنعيم يكون للروح والبدن معا ويمكن أن يكون للروح منفصلة عن البدن قال شيخ الإسلام إبن تيمية كما في مجموع الفتاوى(٢٨٢/٤) بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح مفردة عن البدن. وقال(٢٦٢/٤): وإثبات الثواب والعقاب في البرزخ ما بين الموت إلى يوم القيامة: هذا قول السلف قاطبة وأهل السنة والجماعة، وإنما أنكر ذلك في البرزخ قليل من أهل البدع.

(١)قال الله تعالى عن قوم نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿ مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْصَارًا ﴾ [نوح: ٢٥]؛ أي: فبسببِ خطيئاتهم أغرقهم الله، فأُدخلوا مباشرة نارًا يُعذَّبون فيها في البرزخ، ولم يقل: (ثم أُدخلوا نارًا)، بل قال: ﴿ فَأُدْخِلُوا ﴾ والفاء في اللغة العربية تدل على التعقيب المباشر وليس على التراخي.

(٢)قال الله عز وجل عن آل فرعون: ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [غافر: ٤٦]،فأخبر الله عز وجل أنهم يعرضون على النار غدوا وعشيا وذلك يكون في البرزخ بدليل تكملة الآية "وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ "

(٣)قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴾ [البقرة: ١٥٤]فالله عز وجل يخبر عن الشهداء أنهم أحياء عند ربهم يرزقون ولكن لا نشعر بذلك فأرواحهم تكون في جوف طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت.

(٤)عَنْ مَسْرُوقٍ ، قَالَ : سَأَلْنَا عَبْدَ اللَّهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ : { وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }، قَالَ : أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ : " أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ

حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً، فَقَالَ : هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا ؟ فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا قَالُوا : يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا، حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى. فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا)رواه مسلم .

(٥)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، قَالَ : مَرَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَبْرَيْنِ، فَقَالَ : (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ : أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ ". ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً، قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، لِمَ فَعَلْتَ هَذَا ؟ قَالَ : " لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا)رواه البخاري. فهذا الحديث يبين أن عذاب القبر حق لا شك فيه فعذاب القبر ونعيمه لم نعلم أحد من أهل السنة أنكره وإنما من ينكره بعض أهل البدع.

(كتاب الإيمان بعلامات الساعة)

(١٦)باب الإيمان أن بعثة النبي صلى الله عليه وسلم علامة على قرب يوم القيامة.

(١) عن أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ) رواه البخاري

وقوله كهاتين يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ. وعند مسلم توضيح للإصبعين أنهما السبابة والوسطى .

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ : " بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ". وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ : " أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهَدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ". ثُمَّ يَقُولُ : " أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ)فبعثة النبي صلى الله عليه وسلم. علامة على قرب يوم القيامة.

(١٧)باب .الإيمان بأن موت النبي صلى الله عليه وسلم دليل على قرب الساعة وهو أحد ستة أشياء عدها النبي صلى الله عليه وسلم تحدث بين يدي الساعة.

(١)عن عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ قَالَ : أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، وَهُوَ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، فَقَالَ : " اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ : مَوْتِي، ثُمَّ فَتْحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، ثُمَّ مُوتَانٌ يَأْخُذُ فِيكُمْ كَقُعَاصِ الْغَنَمِ، ثُمَّ اسْتِفَاضَةُ الْمَالِ حَتَّى يُعْطَى الرَّجُلُ مِائَةَ دِينَارٍ فَيَظَلُّ سَاخِطًا، ثُمَّ فِتْنَةٌ لَا يَبْقَى بَيْتٌ مِنَ الْعَرَبِ إِلَّا دَخَلَتْهُ، ثُمَّ هُدْنَةٌ تَكُونُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ بَنِي الْأَصْفَرِ، فَيَغْدِرُونَ فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا)رواه البخاري. فقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم ست علامات على قرب الساعة وهي موته ثم فتح بيت المقدس ثم موتان وهو الموت الكثير يأخذ فيكم كقعاص الغنم وهو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة .قلت ولعل منه مانراه في زماننا من إنفلونزا الطيور وكرونا حاليا وقيل القعاص داء يأخذ في الصدر كأنه يكسر العنق. ويقال إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس.ثم إستفاضة المال وكثرته حتى أن الرجل يعطى مائة دينار لا يرضا بها ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته قيل افتتحت هذه الفتنة بقتل عثمان، وإستمرت الفتن بعده،ثم هدنة تكون بيننا وبين بني الأصفر يعني صلح بعدم القتال وبنو الأصفر هم الروم ثم يغدرون فيأتوننا تحت ثمانين غاية يعني راية تحت كل راية إثنى عشر الف مقاتل.

(١٨) باب الإيمان بأن من علامات قرب الساعة إنشقاق القمر

(١)قال سبحانه: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر:١]،

(٢) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ)رواه البخاري وعند مسلم وغيره "فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مَرَّتَيْنِ "فأهل مكة سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بأية تبين صدق نبوته فجعل الله عز وجل له معجزة أن انشق القمر مرتين ومع ذلك لم يؤمن جميع الناس به بل قال عنه أهل الكفر أنه ساحر وهذه الآية اقترنت بقرب الساعة كما جاء ذلك في الآية في أول سورة القمر فدل ذلك على أن انشقاق القمر علامة من علامات الساعة.

(١٩)باب الإيمان بأنه لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء لها أعناق الإبل ببصرى.

(١)عن أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ، تُضِيءُ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبُصْرَى)رواه البخاري. ومعنى .تضيء أعناق الإبل ببصرى) قال ابن التين: يعني: من آخرها

يبلغ ضوءها إلى الإبل التي تكون ببصرى وهي من أرض الشام، و " أضاء " يجيء لازما ومتعديا، يقال: أضاءت النار وأضاءت النار غيرها، و بصرى بلد بالشام، وهي حوران. قال القرطبي في " التذكرة ": قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، واستمرت إلى ضحى النهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة ترى في صورة البلد العظيم عليها سور محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن، وترى رجالا يقودونها، لا تمر على جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد يأخذ الصخور بين يديه وينتهي إلى محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم، فانتهت النار إلى قرب المدينة

(٢٠)باب (الإيمان أن من علامات الساعة رفع العلم وكثرة الجهل وكثرة الزنا وشرب الخمر ويقل الرجال وتكثر النساء حتى يكون للرجل الواحد خمسين إمرأة)

(١)عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَا يُحَدِّثُكُمْ بِهِ أَحَدٌ غَيْرِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، أَنْ يُرْفَعَ الْعِلْمُ، وَيَكْثُرَ الْجَهْلُ، وَيَكْثُرَ الزِّنَى، وَيَكْثُرَ شُرْبُ الْخَمْرِ، وَيَقِلَّ الرِّجَالُ، وَيَكْثُرَ النِّسَاءُ، حَتَّى يَكُونَ لِخَمْسِينَ امْرَأَةً الْقَيِّمُ الْوَاحِدُ)رواه البخاري. فهذه جملة من علامات الساعة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم التي ينبغي على العبد الإيمان بها فلن تقوم الساعة حتى تحدث هذه العلامات والمقصود برفع العلم هو أن يموت العلماء فلا يبقى على

الأرض منهم أحد وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم ذلك كما عند البخاري في صحيحه

(٢)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا)فعندما يموت العلماء يكثر الجهل ويتخذ الناس رؤس جهلاء يفتون بغير علم فايضلو أنفسهم ويضلو غيرهم ويكثر الزنا ومن أسباب كثرته بعد الناس عن الدين فيكون الحلال صعب لا يستطيع الرجل أن يعف نفسه بالحلال

لكثرة كلفته ومشقته وتعسير الناس على بعضهم وتسهيل الحرام فبقليل من المال يزني ولا سيما عندما تكثر النساء فيكون للرجل الواحد خمسين إمرأة وتشرب الخمر بكثرة وإذا شربت الخمر فتح الشر كله.

(٢١)باب الإيمان بأن من علامات الساعة إسناد الأمر لغير أهله.

(١)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : (بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : مَتَى السَّاعَةُ ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ، قَالَ : " أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ ؟ " قَالَ : هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ ". قَالَ : كَيْفَ إِضَاعَتُهَا ؟ قَالَ : " إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ)رواه البخاري. فهذا الحديث بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا ضيعت الأمانة كان يوم القيامة قريب فقال رجل وكيف إضاعتها .فقال النبي صلى الله عليه وسلم. إذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة. فإذا خون الأمين وأمن الخائن وتكلم في الدين من ليس أهلا أن يتكلم ومكن له وأصبح له أتباع وأصبح رؤوس الناس الجهال حتى يصبح أهل الفسق والفجور هم أصحاب القول المسموع وأهل الدين لا مكان لهم فإذا وسد الأمر لغير أهله ضاعت الأمانة وإذا ضاعت الأمانة إقتربت الساعة.

(٢٢)باب الإيمان بأنه لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب.

(١)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَحْسِرَ الْفُرَاتُ عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يَقْتَتِلُ النَّاسُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَيَقُولُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ : لَعَلِّي أَكُونُ أَنَا الَّذِي أَنْجُو)رواه مسلم. من علامات الساعة التي لم تحدث حتى الآن أن يكشف نهر الفرات عن جبل من ذهب فيتقاتل عليه الناس كل منهم يرجو أن يكون هو الذي ينجو ويفوز بهذا الكنز العظيم وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم من وجده أن يؤخذ منه شيء.كما جاء ذلك عند البخاري ومسلم

(٢)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يُوشِكُ الْفُرَاتُ أَنْ يَحْسِرَ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا)

(٢٣)باب.الإيمان

(بأن الساعة لن تقوم حتى يخرج المسيح الدجال)

فقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم في أكثر من حديث وفتنته هي أشد الفتن التي تأتي قبل قيام الساعة نسأل الله أن يجنبنا وإياكم الفتن ما ظهر منها وما بطن وهوأعور العين مكتوب بين عينيه كافر

(١) عن أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الْأَعْوَرَ الْكَذَّابَ، أَلَا إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ)رواه البخاري. فهو أحد أعظم علامات الساعة فلن تقوم الساعة حتى يظهر وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم مع جملة من العلامات الأخرى كما عند مسلم في صحيحه

(٢)عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ ، قَالَ : اطَّلَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ : (مَا تَذَاكَرُونَ ؟ " قَالُوا : نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ : " إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ [illegible] قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ ". فَذَكَرَ الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ : خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ. وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ) هذه عشر علامات ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ظهور المسيح الدجال وقد ذكره النبي صلى الله عليه وسلم حتى شغل أمره الصحابة خوفا منه فبين لهم النبي صلى الله عليه وسلم أنه لو خرج وهو فيهم فاسيكفيهم أمره وإن خرج ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم حاضر فكل عبد حجيج نفسه وبين صلى الله عليه وسلم أن الدجال شاب قطط يعني مجعد شعر الرأس متباعد بين التجاعيد وهو رجل يسمى عبد العزى وأوصى النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن من يدركه فاليقرأ عليه فواتح سورة الكهف وأول ظهور الدجال سيكون في موضع بين الشام واليمن وسيفسد في الأرض فسادا شديد يمينا وشمالا وسيبقى في الأرض أربعين وفي وقته سيأتي على الناس ثلاثة أيام طوال يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كا جمعة وسائر أيامه مثل أيامنا فسأل الصحابة عن الصلاة في اليوم الذي طوله مقدار سنة هل تكفي فيه صلاة يوم فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم. لا اقدرو له قدره . وسرعة سير الدجال في الأرض كسرعة المطر حينما تدفعه الريح فيأتي القوم فيدعوهم فيؤمنو بقوله ويصدقوه فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت ويكثر عندهم الخير حتى تزيد ضروع المواشي باللبن ويأتي على القوم فيردون عليه قوله ولا يصدقوه فيأتيهم الخراب فيتركهم وليس معهم شيء من المال ففتنته أشد الفتن نسأل الله أن يحفظنا وإياكم من شره ويمر بالخرابة فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه الكنوز مثل جماعات النحل ويدعو رجل ممتلئ شبابا فيقطعه جزلتين بالسيف ثم

يدعوه فيقوم حيا بين يديه نسأل الله أن يحفظنا منه ومن شره وينزل سيدنا عيسى إبن مريم صلى الله عليه وسلم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهرودتين " يعني : ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران ، وقيل : هما شقتان ، والشقة : نصف الملاءة وينزل سيدنا عيسى واضعا كفيه على جناح ملكين فيدرك المسيح عند باب لد فيقتله ولد بلدة قريبة من بيت المقدس .

(٣)روى الإمام مسلم في صحيحه حَدَّثَنَا أَبُو خَيْثَمَةَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ ، حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، حَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ جَابِرٍ الطَّائِيُّ قَاضِي حِمْصَ، حَدَّثَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ جُبَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ الْحَضْرَمِيِّ ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ ح وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ مِهْرَانَ الرَّازِيُّ – وَاللَّفْظُ لَهُ – حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، عَنْ يَحْيَى بْنِ جَابِرٍ الطَّائِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنْ أَبِيهِ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ ، عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ : " مَا شَأْنُكُمْ ؟ " قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ : " غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَاثْبُتُوا ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : " لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ

كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، { وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ، حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ ، حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)

قال مسلم حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ ، حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، وَالْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ ، قَالَ ابْنُ حُجْرٍ : دَخَلَ حَدِيثُ أَحَدِهِمَا فِي حَدِيثِ الْآخَرِ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ، نَحْوَ مَا ذَكَرْنَا، وَزَادَ بَعْدَ قَوْلِهِ : " – لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ – ثُمَّ يَسِيرُونَ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الْخَمَرِ، وَهُوَ جَبَلُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ : لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ، هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السَّمَاءِ. فَيَرْمُونَ بِنُشَّابِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نُشَّابَهُمْ مَخْضُوبَةً دَمًا "

ذلك الحديث يعد من الآحاديث الجامعة التي ذكر فيها النبي صلى الله عليه وسلم كثيرا مما يحدث قبل يوم القيامة فمن أشد الفتن فتنة المسيح الدجال وسيتبع الدجال سبعون ألف من اليهود

(٤)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ سَبْعُونَ أَلْفًا، عَلَيْهِمُ الطَّيَالِسَةُ)رواه مسلم.

وسيدخل الدجال جميع البلاد إلا مكة والمدينة تحرسهم الملائكة. وترتجف المدينة ثلاث رجفات فيخرج الله منها كل كافر ومنافق.

(٥)عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَأُهُ الدَّجَّالُ، إِلَّا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ، لَيْسَ لَهُ مِنْ نِقَابِهَا نَقْبٌ إِلَّا عَلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ صَافِّينَ يَحْرُسُونَهَا، ثُمَّ تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ فَيُخْرِجُ اللَّهُ كُلَّ كَافِرٍ وَمُنَافِقٍ)رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ البخاري.

(٦)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ ؛ مَسَالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ : أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ : أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ. قَالَ : فَيَقُولُونَ لَهُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا ؟ فَيَقُولُ : مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ. فَيَقُولُونَ : اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ : أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ ؟ قَالَ : فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ قَالَ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قَالَ : فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ، فَيَقُولُ : خُذُوهُ، وَشُجُّوهُ. فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ : فَيَقُولُ : أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي ؟ قَالَ : فَيَقُولُ : أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ. قَالَ : فَيُؤْمَرُ بِهِ فَيُؤْشَرُ بِالْمِئْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ : ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : قُمْ. فَيَسْتَوِي قَائِمًا، قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ لَهُ : أَتُؤْمِنُ بِي ؟ فَيَقُولُ : مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلَّا بَصِيرَةً. قَالَ : ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ. قَالَ : فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيُجْعَلَ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلًا، قَالَ : فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ)رواه مسلم.

ففتنة الدجال هي أشد الفتن التي تكون قبل قيام الساعة وسيأتي إليه رجل من أمة محمد صلى الله عليه فيعترضه جنود المسيح ويذهبون الى الدجال ويضرب ذلك الرجل على ظهره وبطنه ويأمر الدجال أتباعه فينشر ذلك الرجل المؤمن بالمنشار وذلك الرجل أعظم الناس شهادة عند الله ثم يمر الدجال بين القطعتين ثم يقول له قم فيستوي الرجل قائما فيقول له الدجال أتؤمن بي فيقول الرجل ما إزدت فيك إلا بصيرة ويحذر الناس منه فيريد الدجال قتله فلا يستطيع فيأخذه ويلقيه فيظن الناس أنه ألقاه في النار وإنما ألقي في الجنة.

(٢٤)باب. الإيمان.

(بنزول عيسى إبن مريم قبل قيام الساعة)

قد ذكرنا في الباب السابق خروج المسيح الدجال وذكرنا أن سينا عيسى إبن مريم سيقتله وسينزل المسيح عيسى إبن مريم صلى الله عليه وسلم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق وسيحكم بالعدل ويكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرفع الجزية ويكثر في عهده المال حتى لا يقبله أحد

روى البخاري في صحيحه

(١)عن أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمُ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ)

وعند مسلم في صحيحه

(٢) عن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ يَقُولُ : سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ". قَالَ : فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ : تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ : لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ)فهذا الحديث يدل على أن طائفة من أمة النبي صلى الله عليه وسلم ستظل ثابتة على الحق إلى يوم القيامة فيقاتيلون في سبيل الله وينزل سيدنا عيسى إبن مريم عليه السلام فيقول له أمير القوم تعال صل لنا فيقول المسيح إبن مريم صلى الله عليه وسلم لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة.

(٢٥)باب الإيمان.بأن الساعة لن تقوم حتى(يخرج يأجوج ومأجوج)

يأجوج ومأجوج هم أمتان من ذرية آدم قيل أنهم من نسل يافث إبن آدم عليه السلام وكان يأجوج ومأجوج يفسدون في الأرض فطلب قوم من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين يأجوج ومأجوج سدا وقد ذكر ذلك القرآن.

(١)، قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا * فَأَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ

وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا * قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا * وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءَ الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا * كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا * ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا * حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا * قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا * قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا * آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا * فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا * قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا} [الكهف:٨٣ – ٩٨]. وتلك هي إرادة الله عز وجل حيث مكن لذي القرنين في الأرض فجعل سدا منيع يحجز بين يأجوج ومأجوج وبين الناس ولا يعلم يقينا أين هو مكان هذا السد ولا أين مكان يأجوج ومأجوج الآن فهم موجودون ولكن أين هم بالتحديد لا نعلم ولم يأتي دليل من الكتاب أو السنة يبين مكانهم وما يقال حول مكان السد أو مكان يأجوج ومأجوج كلام لا دليل عليه

و سيخرجون قبل قيام الساعةوعددهم كثير جدا وهم من ذرية آدم

(٢)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ. يَقُولُ : لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ. فَيُنَادَى بِصَوْتٍ : إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ بَعْثًا إِلَى النَّارِ. قَالَ : يَا رَبِّ وَمَا بَعْثُ النَّارِ ؟ قَالَ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ – أُرَاهُ قَالَ – تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، فَحِينَئِذٍ تَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا، وَيَشِيبُ الْوَلِيدُ، { وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ } ". فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى تَغَيَّرَتْ وُجُوهُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مِنْ يَأْجُوجَ، وَمَأْجُوجَ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَمِنْكُمْ وَاحِدٌ، ثُمَّ أَنْتُمْ فِي النَّاسِ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَبْيَضِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جَنْبِ الثَّوْرِ الأَسْوَدِ، وَإِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ : " ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَكَبَّرْنَا، ثُمَّ قَالَ : " شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ". فَكَبَّرْنَا)رواه البخاري. فعدد يأجوج ومأجوج كثير جدا وقوتهم عظيمة جدا لا يستطيع أحد محاربتهم وسيخرجون بعد ظهور المسيح الدجال ونزول سيدنا عيسى إبن مريم صلى الله عليه وسلم وقتله للدجال.

(٣)عَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ ، قَالَ : ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ، حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ : " مَا شَأْنُكُمْ ؟ " قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ

وَرَفَّعْتَ حَتَّى ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَقَالَ : " غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ، عَيْنُهُ طَافِئَةٌ، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بِعَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الْكَهْفِ، إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّأْمِ وَالْعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ، فَاثْبُتُوا ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا لَبْثُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " أَرْبَعُونَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ، أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلَاةُ يَوْمٍ ؟ قَالَ : " لَا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ ". قُلْنَا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا إِسْرَاعُهُ فِي الْأَرْضِ ؟ قَالَ : " كَالْغَيْثِ اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأْتِي عَلَى الْقَوْمِ فَيَدْعُوهُمْ، فَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالْأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرًى ، وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا، وَأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ، ثُمَّ يَأْتِي الْقَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ، لَيْسَ بِأَيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالْخَرِبَةِ، فَيَقُولُ لَهَا : أَخْرِجِي كُنُوزَكِ. فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا، فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ ، رَمْيَةَ الْغَرَضِ ، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ بَعَثَ اللَّهُ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ الْمَنَارَةِ الْبَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ، بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَى أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ، فَيَطْلُبُهُ حَتَّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأْتِي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ قَوْمٌ قَدْ عَصَمَهُمُ اللَّهُ مِنْهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ، وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ، إِذْ أَوْحَى اللَّهُ إِلَى عِيسَى : إِنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي، لَا يَدَانِ لِأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ. وَيَبْعَثُ اللَّهُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، { وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ } فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ : لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ لِأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دِينَارٍ لِأَحَدِكُمُ الْيَوْمَ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الْأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلَأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللَّهِ عِيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى اللَّهِ، فَيُرْسِلُ اللَّهُ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ مَطَرًا لَا يَكُنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ، فَيَغْسِلُ الْأَرْضَ، حَتَّى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ ، ثُمَّ يُقَالُ لِلْأَرْضِ : أَنْبِتِي ثَمَرَتَكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ. فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ الْعِصَابَةُ مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقِحْفِهَا ، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ ، حَتَّى إِنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الْإِبِلِ لَتَكْفِي الْفِئَامَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْبَقَرِ لَتَكْفِي الْقَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الْغَنَمِ لَتَكْفِي الْفَخِذَ مِنَ النَّاسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ،

فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ، يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ)رواه مسلم.فهذا الحديث يعد من الآحاديث الجامعة وفيه دليل على قوت يأجوج ومأجوج وأن سيدنا عيسى سيتحصن منهم هو ومن معه على جبل الطور حتى يفرج الله عنهم بموت يأجوج ومأجوج وعندما يموتو تمتلئ الأرض من نتنهم ويبعث الله طيرا تحملهم وترميهم حيث شاء الله .

(٤)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي السَّدِّ، قَالَ : " يَحْفِرُونَهُ كُلَّ يَوْمٍ، حَتَّى إِذَا كَادُوا يَخْرِقُونَهُ قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا. فَيُعِيدُهُ اللَّهُ كَأَشَدِّ مَا كَانَ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ مُدَّتَهُمْ وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَبْعَثَهُمْ عَلَى النَّاسِ، قَالَ الَّذِي عَلَيْهِمْ : ارْجِعُوا فَسَتَخْرِقُونَهُ غَدًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ. وَاسْتَثْنَى " قَالَ : " فَيَرْجِعُونَ فَيَجِدُونَهُ كَهَيْئَتِهِ حِينَ تَرَكُوهُ، فَيَخْرِقُونَهُ فَيَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ فَيَسْتَقُونَ الْمِيَاهَ، وَيَفِرُّ النَّاسُ مِنْهُمْ، فَيَرْمُونَ بِسِهَامِهِمْ فِي السَّمَاءِ، فَتَرْجِعُ مُخَضَّبَةً بِالدِّمَاءِ، فَيَقُولُونَ : قَهَرْنَا مَنْ فِي الْأَرْضِ وَعَلَوْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ. قَسْوَةً وَعُلُوًّا، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ نَغَفًا فِي أَقْفَائِهِمْ، فَيَهْلِكُونَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّ دَوَابَّ الْأَرْضِ تَسْمَنُ وَتَبْطَرُ، وَتَشْكَرُ شَكَرًا مِنْ لُحُومِهِمْ ".)رواه الترمذي وسنده حسن وإن كان قد تكلم بعض أهل العلم عن حديث أبو عوانة عن قتادة فقد تابعه سعيد إبن أبي عروبة كما عند إبن ماجة وأحمد وقد صرح قتادة بالسماع من أبي رافع في رواية سعيد .وهذا الحديث يدل على أن خروج يأجوج ومأجوج وأنهم كل يوم يحفرون حتى يقتربو من فتح السد فيقول الذي عليهم إرجعو فستحفرونه غدا فيرجعون فيجدونه أمتن وأقوى مما كان فإذا جاء وقت خروجهم الذي قدره الله يستثني الذي عليهم ويقول إن شاء الله فيخرجون على الناس ويفر الناس منهم لأنه لا طاقة لهم بهم ثم إذا أرد الله هلاك يأجوج ومأجوج جعل النغف يأكل في أقفائهم حتى يموتو والنغف دود يكون في أنوف الغنم .

(٢٦)باب الإيمان.بأنه لن تقوم الساعة(حتى تخرج الدابة) وهي دابة تخرج تكلم الناس وقد إختلفت الأقوال في وصفها ولم يرد في وصفها حديث مرفوع نعلمه.

وإنما وردت في ذلك آثار عن بعض الصحابة رضي الله عنهم .

فقد روى إبن أبي حاتم عن أبا هريرة رضي الله عنه قال: إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب.

وروي عن إبن عباس رضي الله عنهما قال: هي مثل الحربة الضخمة.

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إنها دابة لها ريش وزغب وحافر، وما لها ذنب، ولها لحية.

وروي عن إبن الزبير رضي الله عنه أنه قال: رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعاً، تخرج معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه نكتة بيضاء فتفشو فى وجهه حتى يبيض وجهه ولا كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشو تلك النكتة السوداء حتى يسود لها وجهه، حتى إن الناس ليتبايعون في الأسواق بكم ذا يا مؤمن؟ بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول له الدابة: يا فلان أبشر أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار، فذلك قول الله تعالى (وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ) [النمل:٨٢]

وهذه الأثاركلها موقوفة على بعض الصحابة رضي الله عنهم ومثل هذا لا يثبت إلا بحديث صحيح ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد جاء ذكرها في القرآن الكريم .

(١)قال تعالى. {وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ} [النمل:٨٢]. وقد ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم مع طلوع الشمس من مغربها كما عند مسلم في صحيحه.

(٢) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ، قَالَ : حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثًا لَمْ أَنْسَهُ بَعْدُ ؛ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " إِنَّ أَوَّلَ الْآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَّةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا مَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالْأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبًا)فهذا الحديث يدل على أن تلك العلامتان تتبع أحدهما الآخرى فلو طلعت الشمس من المغرب أولا خرجت الدابة بعد ذلك بوقت يسير وإن خرجت الدابة أولا طلعت الشمس من مغربها على إثر خروج الدابة بوقت يسير.

وخروج الدابة أحد ثلاث علامات إذا خرجن لا ينفع وقتها إيمان من لم يؤمن من قبل

(٣)عن أبي هُريرةَ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إيمانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أوْ كَسَبَتْ في إيمانِها خَيْراً: طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، والدَّجَّالُ، ودَابَّةُ الأَرْضِ) رواه مسلم.

وإذا خرجت الدابة تسم كثيرا من الناس على أنوفهم يعني تجعل علامة على أنوفهم

(٤)عَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " تَخْرُجُ الدَّابَّةُ، فَتَسِمُ النَّاسَ عَلَى خَرَاطِيمِهِمْ، ثُمَّ يُعْمَرُونَ فِيكُمْ حَتَّى يَشْتَرِيَ الرَّجُلُ الْبَعِيرَ، فَيَقُولُ : مِمَّنِ اشْتَرَيْتَهُ ؟ فَيَقُولُ : اشْتَرَيْتُهُ مِنْ أَحَدِ الْمُخَطَّمِينَ)رواه أحمد وصححه الألباني.

وقد روي أنها تخرج ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلو وجه المؤمن وتختم أنف الكافر بالخاتم

(٥) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " تَخْرُجُ الدَّابَّةُ مَعَهَا خَاتَمُ سُلَيْمَانَ وَعَصَا مُوسَى فَتَجْلُو وَجْهَ الْمُؤْمِنِ وَتَخْتِمُ أَنْفَ الْكَافِرِ بِالْخَاتَمِ، حَتَّى إِنَّ أَهْلَ الْخُوَانِ لَيَجْتَمِعُونَ فَيَقُولُ : هَاهَا يَا مُؤْمِنُ، وَيُقَالُ : هَاهَا يَا كَافِرُ وَيَقُولُ هَذَا : يَا مُؤْمِنُ وَيَقُولُ هَذَا : يَا كَافِرُ)رواه الترمذي.وسنده ضعيف فهذا الحديث لا يعرف إلا من طريق علي إبن زيد إبن جدعان وقد ضعفه غير واحد من العلماء وأوس إبن خالد الذي روى عنه على إبن جدعان هذا الحديث مجهول.

(٢٧)باب الإيمان. أن من علامات الساعة .

(طلوع الشمس من مغربها)

وهذا مادلت عليه السنة وجاء ذكر هذه العلامة في أكثر من حديث فإذا طلعت الشمس من مغربها ورأها الناس آمنوا جميعا ولكن وقتها لا ينفع إيمان من لم يؤمن من قبل وحينها لا تقبل التوبة.

(١)عن أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا رَآهَا النَّاسُ آمَنَ مَنْ عَلَيْهَا فَذَاكَ : حِينَ { لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ }رواه البخاري.

(٢)عَنْ أَبِي مُوسَى ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا)رواه مسلم. فالله عز وجل يقبل توبة العباد بالليل والنهار

حتى تطلع الشمس من مغربها فإذا طلعت الشمس من مغربها إنتهى وقت التوبة فطلوع الشمس من مغربها دليل على قرب قيام الساعة.

(٣)عَنْ أَبِي ذَرٍّ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ يَوْمًا : (أَتَدْرُونَ أَيْنَ تَذْهَبُ هَذِهِ الشَّمْسُ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : " إِنَّ هَذِهِ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا : ارْتَفِعِي، ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا تَحْتَ الْعَرْشِ، فَتَخِرُّ سَاجِدَةً، وَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يُقَالَ لَهَا ارْتَفِعِي ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَرْجِعُ فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَطْلِعِهَا، ثُمَّ تَجْرِي لَا يَسْتَنْكِرُ النَّاسَ مِنْهَا شَيْئًا حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى مُسْتَقَرِّهَا ذَاكَ تَحْتَ الْعَرْشِ، فَيُقَالُ لَهَا : ارْتَفِعِي، أَصْبِحِي طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِكِ، فَتُصْبِحُ طَالِعَةً مِنْ مَغْرِبِهَا ". فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَتَدْرُونَ مَتَى ذَاكُمْ ؟ ذَاكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ".)

رواه مسلم.

فهذا الحديث يبين أن مستقر الشمس الذي ذكره الله في القرآن تحت عرش الرحمن ﷻ وهذه الشمس عبدة من عباد الله تنقاد لأوامر الله فتسجد لله عز وجل ويأمرها بالطلوع من المشرق فتطلع فإذا جاء الوقت الذي يريد الله عز وجل أن تطلع من المغرب أمرها فتطلع حيث أمرها الله عز وجل من المغرب وقتها لا ينفع إيمان عبد لم يكن آمن من قبل.

(٢٨)باب الإيمان .

(بأن الساعة تأتي بغتة و تقوم على شرار الخلق)

وهذا ما دلت عليه الأدلة الشرعية.

فالساعة لن تقوم إلا على شرار الخلق وستأتي على الناس بغتة.ولن تقوم حتى تظهر كل العلامات التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم وقد ذكرنا في كتابنا هذا جملة منها وأفردنا لبعضها أبوابا وما ذكرناه ليس على سبيل الحصر وإنما إقتصرنا على ذكر شيء منها فقط وعقيدة أهل السنة والجماعة الأصل فيها الإيمان بكل ما جاء في الكتاب والسنة وحمل النصوص على حقيقتها إلا إذا جائت قرينة تبين أن المقصود المعنى المجازي.فالساعة ستقوم على شرار الخلق وستأتي بغتة.

(١)قَالَ تَعَالَى: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

(٢)قال تعالى (فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً) [سورة محمد: ١٨]

(٣)روى البخاري في صحيحه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ، يَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ، دَعْوَتُهُمَا وَاحِدَةٌ، وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلَازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ – وَهُوَ الْقَتْلُ – وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ، حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ : لَا أَرَبَ لِي بِهِ. وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ، فَيَقُولُ : يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ. وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ – يَعْنِي آمَنُوا – أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ { لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا }، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ فَلَا يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلَا يَطْعَمُهَا) وهذا الحديث ذكر جملة من العلامات ويبين أيضا أن يوم القيامة سيأتي بغتة فاستقوم الساعة على الرجلين يبتاعان ثوب فلا ينقضي بينهم البيع ولا يطويانه وتقوم الساعة وتقوم على الرجل قد حلب اللبن فلا يشربه وتقوم على الذي يلوط حوضه فلا يسقي فيه وتقوم على الرجل رفع أكلته إلى فمه فلا يطعمها.وكل هذا يبين أنها تأتي بغتة.

وستقوم على شرار الخلق بعدما يرسل الله ريح فتقبض أرواح المؤمنين.

(٤) روى مسلم في صحيحه. عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ : مَا هَذَا الْحَدِيثُ الَّذِي تُحَدِّثُ بِهِ، تَقُولُ إِنَّ السَّاعَةَ تَقُومُ إِلَى كَذَا وَكَذَا ؟ فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ – أَوْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهُمَا – لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لَا أُحَدِّثَ أَحَدًا شَيْئًا أَبَدًا، إِنَّمَا قُلْتُ : إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ بَعْدَ قَلِيلٍ أَمْرًا عَظِيمًا، يُحَرَّقُ الْبَيْتُ، وَيَكُونُ، وَيَكُونُ، ثُمَّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فِي أُمَّتِي، فَيَمْكُثُ أَرْبَعِينَ – لَا أَدْرِي أَرْبَعِينَ يَوْمًا، أَوْ أَرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ عَامًا – فَيَبْعَثُ اللَّهُ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ، كَأَنَّهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ، لَيْسَ بَيْنَ اثْنَيْنِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّأْمِ، فَلَا يَبْقَى عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ أَوْ إِيمَانٍ إِلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّى لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ لَدَخَلَتْهُ عَلَيْهِ حَتَّى تَقْبِضَهُ ". قَالَ : سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : " فَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ، وَأَحْلَامِ السِّبَاعِ، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ، فَيَقُولُ : أَلَا تَسْتَجِيبُونَ ؟ فَيَقُولُونَ : فَمَا تَأْمُرُنَا ؟ فَيَأْمُرُهُمْ بِعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذَلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيْشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، قَالَ : وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ، قَالَ : فَيَصْعَقُ ، وَيَصْعَقُ النَّاسُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللَّهُ – أَوْ قَالَ : يُنْزِلُ اللَّهُ – مَطَرًا، كَأَنَّهُ الطَّلُّ ، أَوِ الظِّلُّ – نُعْمَانُ الشَّاكُّ – فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى { فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ }، ثُمَّ يُقَالُ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، { وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ }. قَالَ : ثُمَّ يُقَالُ : أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ . فَيُقَالُ : مِنْ كَمْ ؟ فَيُقَالُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَمِائَةٍ وَتِسْعَةً وَتِسْعِينَ. قَالَ : فَذَاكَ يَوْمَ يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)

هذا الحديث يبين أن القيامة ستقوم على شرار الخلق بعدما يأتي الله بريح فتقبض أرواح المؤمنين ويبقا عليها شرار الخلق في خفة الطير وأحلام السباع . قيل أن معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كاطيران الطير ، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضا في أخلاق السباع العادية ويتمثل لهم الشيطان بهيئة معينة ويأمرهم بعبادة الأوثان . ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا) يعني أمال صفحة العنق ، وهي جانبه ، ورفع الآخرى وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله أي : يطينه ويصلحه .

نسأل الله أن يحسن ختامنا وأن يبيض وجوهنا وإياكم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه.

(٢٩)باب الإيمان (بوجوب إتباع القرآن والسنة)

لا خلاف بين أهل العلم على وجوب إتباع القرآن والسنة وتحكيم شرع الله في الأرض وأنه لا يحل الحكم بغير ما أنزل الله.

(١) قال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} » [الأنعام: ١٥٣] .

(٢)قال تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥]

(٣)قال تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: ٧].

(٤)قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]. فالأدلة على وجوب إتباع القرآن والسنة كثيرة جدا فهما الدستور والمنهاج الذي يسير عليه المسلم وما ضل من ضل إلا لما ترك كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وما ضاعت هيبة المسلمين وتكالب عليهم أعدائهم وفشى فيهم الضعف والهوان إلا لما إبتعدو عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم نسأل الله أن يردنا إلى ديننا مردا جميلا.

(٣٠)باب الإيمان.

(بحرمة الصلاة على الكافر والاستغفار له)

لا نعلم خلافا بين أهل العلم قاطبة في حرمة الصلاة على الكافر إذا مات أو الدعاء له بالمغفرة.

قال النووي في المجموع: وَأَمَّا الصَّلاةُ عَلَى الْكَافِرِ وَالدُّعَاءُ لَهُ بِالْمَغْفِرَةِ فَحَرَامٌ بِنَصِّ الْقُرْآنِ وَالإِجْمَاعِ.

وقال شيخ الإسلام إبن تيمية – رحمه الله – في مجموع الفتاوى.

فإن الاستغفار للكفار لا يجوز بالكتاب والسنَّة والإجماع .

(١) قال الله تعالى:{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى}

[التوبة: ١١٣]

(٢)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لِأُمِّي، فَلَمْ يَأْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأَذِنَ لِي)

هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن له بالإستغفار لأمه فكيف يحل لغيره أن يدعو لكافر مات على الكفر أو يصلي عليه وقد نهي النبي صلى الله عليه وسلم نفسه عن هذا

(٣)قال تعالى(وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ (٨٤)التوبة)

فالدعاء بالمغفرة لغير المسلم لا يجوز بل هو من التعدي في الدعاء.

(٤) قال تعالى:{إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا}[النساء: ٤٨] فالشرك هو أعظم الجرم والإفتراء والله لا يغفره فمن مات كافرا على غير الإسلام مخلد في نار جهنم لا ينبغي الدعاء له بالمغفرة والعفو ولو كان لأحد مات على غير الإسلام أن يدعى له بالمغفرة لأذن للنبي بالإستغفار لأمه وعمه أبي طالب

(٥)عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ دَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَيْ عَمِّ، قُلْ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ ". فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي أُمَيَّةَ : يَا أَبَا طَالِبٍ، أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لَمْ أُنْهَ عَنْكَ ". فَنَزَلَتْ : { مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ }رواه البخاري.

وقد قيل أن رحمة الله وسعت كل شيء والكفار داخلين في هذا العموم فلا بأس أن ندعو لهم بالرحمة ويجاب عن هذا بأن الله حرم الإستغفار لهم وهو طلب مغفرة الذنوب وهي نوع من الرحمة فإن كنتم تريدون أن يرحمهم الله ويدخلهم الجنة فقد تعديتم في الدعاء فإن الله بين في كتابه أنهم خالدين في النار

(٦) قال تعالى (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ (٦)البينة)فالله عز وجل ذكر أن المشركين والكافرين مخلدون في النار وأنتم تطلبون لهم الرحمة بعدم دخولهم النار ودخولهم الجنة.فأي جرأة على الله هذه وإن كنتم تريدون طلب الرحمة لهم بأن يخفف عنهم العذاب نقول لهم لو فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم لفعلناه

فقد

(٧)روي عن النبي صلى الله عليه وسلم كما عند الترمذي عَنْ أَبِي بُرْدَةَ ، عَنْ أَبِي مُوسَى قَالَ (كَانَ الْيَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لَهُمْ : يَرْحَمُكُمُ اللَّهُ، فَيَقُولُ : " يَهْدِيكُمُ اللَّهُ، وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ ")فإذا أردت أن تدعو لكافر فادعوا له بالهداية وصلاح البال وهو حي أما أن تدعوا له بالرحمة والمغفرة فلا وإليك بعض ماذكر في تفسير

(٨)قوله تعالى

(وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ {الأعراف:١٥٦}.

قال القرطبي: ولم تسع إبليس، ولا من مات كافرا.

وقال الآلوسي: ورحمة الله تعالى – وإن وسعت كل شيء ببعض اعتباراتها – إلا أنها خصت المتقين باعتبار آخر.

وقال السعدي: { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ } من العالم العلوي والسفلي، البر والفاجر، المؤمن والكافر، فلا مخلوق إلا وقد وصلت إليه رحمة الله، وغمره فضله وإحسانه، ولكن الرحمة الخاصة المقتضية لسعادة الدنيا والآخرة، ليست لكل أحد، ولهذا قال عنها: { فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ...}".

فمن مات على الكفر فهو من أهل النار ولا يقبل منه عمل

(٩)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ : (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ، وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)رواه مسلم.

(١٠)، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ ؟ قَالَ : (لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا : رَبِّ، اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) رواه مسلم.

قال النووي رحمه الله في شرح مسلم : أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره : لا ثواب له في الآخرة ، ولا يجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربا إلى الله تعالى.

(٣١)باب الإيمان بأن

(القرآن كلام الله ليس مخلوق)

فاكلام الله تعالى صفة من صفاته.

قال الإمام أحمد إبن حنبل في أصول السنة فَإِن كَلَام الله لَيْسَ ببائن مِنْهُ وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْء مخلوقا وَإِيَّاك ومناظرة من أخذل فِيهِ وَمن قَالَ بِاللَّفْظِ وَغَيره وَمن وقف فِيهِ فَقَالَ لَا أَدْرِي مَخْلُوق أَو لَيْسَ بمخلوق وَإِنَّمَا هُوَ كَلَام الله فَهَذَا صَاحب بِدعَة مثل من قَالَ هُوَ مَخْلُوق وَإِنَّمَا هُوَ كَلَام الله لَيْسَ بمخلوق.

ومن قال بأن القرآن مخلوق فاليس من أهل السنة وإنما قوله قول المعتزلة

قال إبن أبي زمنين. في أصول السنة :وَحَدَّثَنِي وَهْبٌ عَنْ اِبْنِ وَضَّاحٍ، عَنْ زُهَيْرِ بْنِ عَبَّادٍ، عَنْ عَبَّادٍ قَالَ: كَانَ كُلُّ مَنْ أَدْرَكْتُهُ مِنْ اَلْمَشَايِخِ: مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ وَسُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، وَفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ، وَعِيسَى بْنُ يُونُسَ، وعَبْدُ اللهِ بْنُ اَلْمُبَارَكِ، وَوَكِيعُ بْنُ اَلْجَرَّاحِ وَغَيْرُهُمْ مِمَّنْ أَدْرَكْتُ مِنْ فُقَهَاءِ اَلْأَمْصَارِ: مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَغَيْرِهَا يَقُولُونَ: اَلْقُرْآنُ كَلَامُ اَللَّهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمٌ حَتَّى يَعْلَمَ وَيُؤْمِنَ أَنَّ اَلْقُرْآنَ كَلَامُ اَللَّهِ لَيْسَ بِخَالِقٍ وَلَا مَخْلُوقٍ.

فالقرآن ليس له إرادة مستقلة عن إرادة الله يخلق بها وليس هو مخلوق وإنما هو صفة من صفاته سبحانه وتعالى.

يزداد من تعلمه شرف ورفعة وإن حفظ القرآن وتعلمه أفضل من شهادات الدنيا كلها

فلا ينبغي أن يقدم على صاحب القرآن أحد لأن القرآن يرفع أهله وقد ولى عمر إبن الخطاب على أهل البوادي مولى من الموالي فعوتب في ذلك فقال إنه قارئ لكتاب الله وإنه عالم بالفرائض

(١) عَنْ عَامِرِ بْنِ وَاثِلَةَ : أَنَّ نَافِعَ بْنَ عَبْدِ الْحَارِثِ لَقِيَ عُمَرَ بِعُسْفَانَ، وَكَانَ عُمَرُ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى مَكَّةَ، فَقَالَ : مَنِ اسْتَعْمَلْتَ عَلَى أَهْلِ الْوَادِي ؟ فَقَالَ : ابْنَ أَبْزَى. قَالَ : وَمَنِ ابْنُ أَبْزَى ؟ قَالَ : مَوْلًى مِنْ مَوَالِينَا. قَالَ : فَاسْتَخْلَفْتَ عَلَيْهِمْ مَوْلًى ؟ قَالَ : إِنَّهُ قَارِئٌ لِكِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَإِنَّهُ عَالِمٌ بِالْفَرَائِضِ. قَالَ عُمَرُ : أَمَا إِنَّ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ قَالَ : " إِنَّ اللَّهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ ".)رواه مسلم

فخير الناس وأفضلهم من تعلم القرآن إبتغاء مرضات الله وعلمه إبتغاء مرضاته .

(٢) عَنْ عُثْمَانَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ)رواه البخاري.

جعلنا الله وإياكم من أهل القرآن إنه الولي على ذلك والقادر عليه.

(٣٢)باب الإيمان (بالعرش والكرسي)

فالإيمان بكل ما جاء في القرآن أو ثبت في السنة واجب لا يحل خلافه فالله عز وجل له كرسي وله عرش وهو سبحانه وتعالى مستوي على عرشه إستواء يليق بجلاله وكماله ولا يشبه أحد من خلقه سبحانه المنزه عن التمثيل والتكييف ونحمل الألفاظ على حقيقتها مالم تأتي قرينة تبين خلاف ذلك ولا نشبه أفعال الله وصفاته بأفعال وصفات الخلق وقد أبدع الإمام مالك إبن أنس رحمه الله حينما سئل عن كيفية الاستواء، فقال: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة". أخرجه اللالكائي في شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة .

فالله عز وجل له عرش إستوى عليه.

(١)قال تعالى "الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى"

[طه: ٥]

(٢)قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا" [هود: ٧]، وقد أخبر الله عز وجل أن عرشه كان على الماء .

روى الطبري في التفسير عن مجاهد، في قول الله: (وكان عرشه على الماء) ، قبل أن يخلق شيئًا. فالله سبحانه خلق العرش وجعل من الملائكة حملة له

(٣)قال تعالى: {الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا} الآية [المؤمنون: ٧] . وقد كتب الله عز وجل في كتاب عنده فوق العرش إن رحمتي غلبت غضبي

(٤)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَمَّا قَضَى اللَّهُ الْخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابِهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ : إِنَّ رَحْمَتِي غَلَبَتْ غَضَبِي)رواه البخاري.

(٥)عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَبِي ذَرٍّ حِينَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ : " تَدْرِي أَيْنَ تَذْهَبُ ؟ " قُلْتُ : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ : " فَإِنَّهَا تَذْهَبُ حَتَّى تَسْجُدَ تَحْتَ الْعَرْشِ فَتَسْتَأْذِنَ فَيُؤْذَنُ لَهَا، وَيُوشِكُ أَنْ تَسْجُدَ فَلَا يُقْبَلَ مِنْهَا، وَتَسْتَأْذِنَ فَلَا يُؤْذَنَ لَهَا، يُقَالُ لَهَا : ارْجِعِي مِنْ حَيْثُ جِئْتِ، فَتَطْلُعُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ } "

.رواه البخاري.

فالله عز وجل خلق الخلق وقدر المقادير ومن سعت ملكه وعظمته أن الشمس تذهب وتسجد له سبحانه تحت العرش وتستأذن في الشروق وإن للعرش عظمة الله عز وجل يعلم قدرها ومع ذلك إهتز العرش لموت سيدنا سعد رضي الله عنه

(٦)عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (اهْتَزَّ الْعَرْشُ لِمَوْتِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ)رواه البخاري.

فالله عز وجل صاحب العظمة والكبرياء ولا نعلم سعت ملكه ولا قدر عظم مخلوقاته وما قدرناه حق قدره سبحانه وتعالى وقد بين لنا في كتابه أن عرشه عظيم وبين لنا أن سعت كرسيه السموات والأرض

(٧)قال تعالى (وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمِ

[البقرة: ٢٥٥].

ومع عظم سعت الكرسي فقد روي عن إبن عباس أن الكرسي موضع القدمين

(٨)روى إبن زمنين في أصول السنة وَحَدَّثَنِي أَبِي عَلِيُّ بْنُ اَلْحَسَنِ عَنْ أَبِي دَاوُدَ، عَنْ يَحْيَى بْنِ سَلَامٍ قَالَ: حَدَّثَنِي اَلْمُعَلَّى بْنُ هِلَالٍ عَنْ عَمَّارٍ اَلدُّهْنِيِّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنْ اِبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اَللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ اَلْكُرْسِيَّ اَلَّذِي وَسِعَ اَلسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مَوْضِعُ اَلْقَدَمَيْنِ، وَلَا يَعْلَمُ قَدْرَ اَلْعَرْشِ إِلَّا اَلَّذِي خَلَقَهُ. لم تتم دراسة إسناده وقد روي أن ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة

(٩) روى إبن مردويه و إبن كثير فى التفسير عن أبي ذر الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنهُ مرفوعاً بلفظ «والذي نفسي بيده ما السموات السبع والأرضون السبع عند الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على تلك الحلقة» وهو حديث ضعيف لا يثبت.

(٣٣)باب الإيمان

(برؤية المؤمنين لله عز وجل يوم القيامة وفي الجنة)الله عز وجل من حكمته أن جعل بينه وبين عباده حجاب ولو كشف الحجاب لأحرقت سبحات وجهه جميع خلقه

(١) عن أبي موسى رضي الله عنه قال: " قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلى الله عَليه وسَلم بِخَمْسِ كَلِمَاتٍ، فَقَالَ:(إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفِضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، وَعَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، حِجَابُهُ النُّورُ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ: النَّارُ، لَوْ كَشَفَهُ لأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ) سبحانه صاحب العزة والكبرياء والعظمة لما طلب سيدنا موسى عليه السلام أن يرى الله عز وجل بين الله له أنه لن يراه وأمره أن ينظر للجبل

فإن إستقر مكانه سوف يري الله فلما تجلى سبحانه للجبل جعله دكا وصعق سيدنا موسى فسبحان من لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار

(٢) قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ} [الشورى: ٥١].

ومن فضل الله عز وجل على المؤمنين أنهم سيرونه يوم القيامة وفيهم المنافقون ولكن لن يستطيعو أن يسجدو لله عز وجل

(٣)روى البخاري عن سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ ، وَعَطَاءُ بْنُ يَزِيدَ اللَّيْثِيُّ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ أَخْبَرَهُمَا أَنَّ النَّاسَ قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ قَالَ : " هَلْ تُمَارُونَ فِي الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ ؟ " قَالُوا : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ : " فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ ؟ ". قَالُوا : لَا. قَالَ : " فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ : مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الْقَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الْأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ : هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ : أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ : أَنْتَ رَبُّنَا فَيَدْعُوهُمْ، فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلَا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلَامُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ : اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ ؟ " قَالُوا : نَعَمْ. قَالَ : " فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو، حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدِ امْتَحَشُوا ، فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ ، ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا ، فَيَقُولُ : هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الْجَنَّةِ رَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ : يَا رَبِّ، قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ : أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ ؟ فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَقُولُ : فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَهُ ؟ فَيَقُولُ : لَا وَعِزَّتِكَ لَا أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ،

فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ، أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ : وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ الْعُهُودَ وَالْمِيثَاقَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ، فَيَقُولُ : يَا رَبِّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ، فَيَضْحَكُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ : تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّى، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : مِنْ كَذَا وَكَذَا. أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ ". قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " قَالَ اللَّهُ : لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَوْلَهُ : لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ : إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ : ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ" وقول جمهور العلماء أن الكفار لا يرون ربهم يوم القيامة ودليلهم على ذلك

(٤)قوله تعالى: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [المطففين: ١٥]

وأما المؤمنين فمن رحمة الله وتمام نعيمه عليهم أن يهيئاهم لرؤيته سبحانه فلا يحرقون ولا يهلكون وإنما يتمتعون وينعمون

(٥) عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ – قَالَ – يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ ؟ فَيَقُولُونَ : أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا ؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ ؟ ". قَالَ : " فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ).رواه مسلم وقال حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ ، حَدَّثَنَا يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ ، عَنْ حَمَّادِ بْنِ سَلَمَةَ ، بِهَذَا الْإِسْنَادِ. وَزَادَ : ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ : { لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ }وقد ورد في التفسير أن الزيادة هي النظر لوجه الله عز وجل

(٦) قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ*إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} (القيامة: ٢٢, ٢٣)

نسأل الله أن يرزقنا وإياكم لذة النظر إلى وجهه الكريم في الجنة وأن يجعلنا وإياكم من أهل الفردوس.

(٣٤)باب الإيمان(بالقلم واللوح المحفوظ)

فالله سبحانه خلق القلم أول ما خلق وكتب في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء إلى يوم القيامة

(١)قال تعالى: {ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ}

[القلم: ١].

قال ابن جرير في تفسيره وأما القلم: فهو القلم المعروف، غير أن الذي أقسم به ربنا من الأقلام: القلم الذي خلقه الله تعالى ذكره، فأمره فجرى بكتابة جميع ما هو كائن إلى يوم القيامة"

وقد كتب الله المقادير وأحصى كل شيء في اللوح المحفوظ

(٢)قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: {بل هُوَ قُرْآن مجيد فِي لوح مَحْفُوظ} [البروج: ٢٢] فالله سبحانه بين أن القرآن الكريم في لوح محفوظ وبين سبحانه أن هذا القرآن في كتاب مكنون

(٣) قَالَ تعالى{إِنَّه لقرآن كريم فِي كتاب مَكْنُون} [الواقعة: ٧٧.٨٧] قال الطبري يقول تعالى ذكره: هو في كتاب مصون عند الله لا يمسه شيء من أذى من غبار ولا غيره.

(٤)قَالَ تَعَالَى:(فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) [عبس: ١١ – ١٦].يعني في اللوح المحفوظ فهو المرفوع المطهر عند الله.

فقد كتب الله كل شيء وقدره فلا يحدث شيء في ملك الله إلا بتقدير الله وإرادته

(٥) قال تعالى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هود: ٦]. فما يحيا أحد ولا يمرض ولايموت إلا بإرادة الله وتقديره فكل حي مكتوب له متى سيموت وكيف يموت

(٦)قال تعالى: {لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ (٣٨) يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ}

[الرعد: الآيات ٣٨ – ٣٩]

(٧)قال تعالى: {مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}

[الحديد: ٢٢]

فالله سبحانه كتب كل شيء وقدره وأول ما خلق سبحانه خلق القلم وأمره بكتابة مقادير كل شيء حتى قيام الساعة.

(٨)عَنْ عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ أنه قال لِابْنِهِ : يَا بُنَيَّ، إِنَّكَ لَنْ تَجِدَ طَعْمَ حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ حَتَّى تَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ، فَقَالَ لَهُ : اكْتُبْ. قَالَ : رَبِّ، وَمَاذَا أَكْتُبُ ؟ قَالَ : اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ ". يَا بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ هَذَا فَلَيْسَ مِنِّي)رواه أبو داوود وهو حديث حسن لغيره إلا قول "من مات على غير هذا فليس مني" فلا نعلم له متابع يصلح للتقوية.

(٣٥)باب الإيمان

(بأن الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الأن)

وهذا قول أهل السنة والجماعة وهذا ما دلت عليه الأدلة الشرعية ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في ذلك وإنما خالف في ذلك بعض أهل البدع فقالو أن الجنة والنار لم يخلقو بعد وإنما يخلقون يوم القيامة وإستدلو على قولهم هذا ببعض الأدلة وأولوها وخالفو الأدلة الصريحة التي تبين أن الجنة والنار موجودتان الآن وليس فيما إحتجو به ما يسعفهم إلى ما ذهبو إليه ومن الأدلة التي إحتجو بها

قول اللهِ عزَّ وجل: {كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ} [القصص: ٨٨] فحجتهم بالآية أنه لوكانت الجنة مخلوقة الآن والنار كذلك لهلكوا يوم القيامة وهلك من فيهم ومات خدم الجنة والحور العين ومات خزنت النار لأن كل شيء هالك إلا وجه الله "ويجاب عن هذا أن كلُّ شيءٍ هالك ممَّا كتب اللهُ عليه الفناء والهلاك ، والجنَّة والنَّار خلقتا للبقاءِ لا للفناءِ ولا للهلاكِ، وهما من الآخرة لا من الدنيا، والحور العين لا يَمُتْنَ عند قيام الساعة، ولا عند النفخة، ولا أبدًا؛ لأنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ خلقهنَّ للبقاءِ، لا للفناءِ، ولم يكتب عليهنَّ الموت،

فكل ما احتجو به لا يسعفهم فيما ذهبو إليه.بل إن الجنة والنار مخلوقتان الآن وهذا قول أهل السنة. والأدلة على ذلك كثيرة منها

(١)عَنْ عِمْرَانَ رضي الله عنه ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (اطَّلَعْتُ فِي الْجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الْفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ فِي النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ)رواه البخاري.

فالجنة والنار مخلوقتان الآن وقد إطلع عليهم النبي صلى الله عليه وسلم فرأى أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وفي حديث الإسراء الطويل كما عند البخاري وفيه "ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا فِيهَا حَبَايِلُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ ". فإذا كانت الجنة لم تخلق بعد فكيف دخل النبي صلى الله عليه وسلم فيها بل إن الجنة والنار مخلوقتان الآن

(٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (احْتَجَّتِ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتْ هَذِهِ : يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ. فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِهَذِهِ : أَنْتِ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ – وَرُبَّمَا قَالَ : أُصِيبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ – وَقَالَ لِهَذِهِ : أَنْتِ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا)رواه مسلم .

وهذا الحديث يبين أن الجنة والنار مخلوقتان الآن وقد إحتجت كل واحدة منهم على الأخرى.

بل إن النار إشتكت إلى الله عز وجل فإذن لها بنفسين فأشد ما نجد من الحر ومن البرد منها

(٣) عن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اشْتَكَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا، فَقَالَتْ : رَبِّ، أَكَلَ بَعْضِي بَعْضًا. فَأَذِنَ لَهَا بِنَفَسَيْنِ ؛ نَفَسٍ فِي الشِّتَاءِ، وَنَفَسٍ فِي الصَّيْفِ، فَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الْحَرِّ، وَأَشَدُّ مَا تَجِدُونَ مِنَ الزَّمْهَرِيرِ)رواه البخاري. فالجنة والنار خلقهم الله عز وجل وهما موجودتان ولا نعلم أحد من أهل السنة خالف في ذلك نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد.

(٣٦)باب الإيمان بأن(الجنة والنار لا تفنيان أبدا) وهذا قول جمهور علماء السنة ولا نعلم أحد منهم خالف في ذلك إلا ما ذهب إليه إبن القيم الجوزية فإن له في ذلك قولين الأول هو قول الجمهور وقوله الثاني القول بفناء النار دون الجنة وأن الجنة باقية لا تفنى أبدا وقد نسب هذا القول لشيخ الإسلام إبن تيمية ولم نقف على هذا صراحة في شيء من كتبه

والراجح والله أعلم ماذهب إليه جل علماء السنة رحمهم الله أن الجنة والنار خالدتان لا تفنيان أبدا وقد نقل غير واحد من العلماء الإجماع على ذلك.

قال أبو زيد القيرواني «في كتابه الجامع» "فمِمّا أجمعت عليه الأُمّةُ من أمور الدِّيانة، ومن السُّنَن التي خِلافُها بدعةٌ وضلالة... وأنّ الجَنَّةَ والنارَ قد خُلِقَتا، أُعِدّت الجَنَّةُ للمتقين، والنّارُ للكافرين، لا تفنيان ولا تبيدان".

قال إبن حزم الظاهري في «مراتب الإجماع» وأنّ النَّارَ حقٌّ، وَأَنَّهَا دَارُ عَذَابٍ أبداً، لَا تفنى وَلَا يفنى أَهلُهَا أبداً بِلَا نِهَايَة، وَأَنَّهَا أُعِدّتْ لكل كَافِرٍ مُخَالِف لدين الإسلام، وَلِمن خَالف الْأَنْبِيَاءَ السالفين، قبلَ مَبْعَثِ رَسُول الله –صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَعَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالتَّسْلِيمُ.

قال ابن عبد البر "قال أهلُ السُّنَّةِ: إنّ الجَنَّةَ والنّارَ مخلوقتان، وأنهما لا تبيدان." فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد إبن عبد البر"

قال القرطبي في كتابه «التذكرة» فمَن قال: إنهم يخرجون منها، وإن النّارَ تبقى خاليةً بمُجمَلِها، خاويةً على عروشها، وإنها تفنى وتزول، فهو خارجٌ عن مقتضى المعقول، ومخالفٌ لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه أهل السنة والأئمة العدول."

قال إبن حجر العسقلاني في «فتح الباري»: "من زعم أنهم يخرجون منها، أو أنها تبقى خالية أو تفنى، فهو خارج عما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأجمع عليه أهل السنة."

فأهل الجنة خالدون فيها وأهل الكفر خالدين في النار فالجنة والنار خالدتان لا تفنيان.

والأدلة على ذلك كثيرة منها

(١)قال تعالى(هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ* إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ) [صّ:٤٩-٥٤]

(٢)قال‌تعالى {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ } (الرعد، آية: ٣٥)

(٣)قال تعالى (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ * وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ * لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ" [الحجر:٤٥-٤٨]) فقد بين الله عز وجل أن أهل الجنة خالدين فيها وأن رزقهم فيها لا ينفد وأن أكلها دائم وظلها وأنهم لا يمسهم فيها نصب ولا هم منها بمخرجين.ولم يخالف في ذلك أحد من أهل السنة والجماعة إنما شذ إبن القيم رحمه الله في أحد قوليه وقال بفناء النار دون الجنة وقوله ضعيف كما سيأتي بيان ذلك بإذن الله.فقد جائت الأدلة الكثيرة على خلود الكفار في النار .

(٤)قال تعالى: { وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ }[فاطر:٣٦]

(٥) قال تعالى: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ (٧٤) لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ (٧٥) وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ (٧٦) وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ (٧٧)}الزخرف

(٦) قال تعالى: { وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ }[التوبة:٦٨] فالله سبحانه وتعالى بين أن الكفار والمنافقين خالدون في جهنم فلا يموت أهل الجنة ولا أهل النار فلا تفنيان أبدا ولا يخرج من أهل النار إلا من شاء الله له الخروج منها من أهل التوحيد وأما الكفار فهم خالدون فيها.

(٧)روى البخاري في صحيحه من حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يُؤْتَى بِالْمَوْتِ كَهَيْئَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ ، فَيُنَادِي مُنَادٍ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَيَشْرَئِبُّونَ ، وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. ثُمَّ يُنَادِي : يَا أَهْلَ النَّارِ. فَيَشْرَئِبُّونَ وَيَنْظُرُونَ، فَيَقُولُ : هَلْ تَعْرِفُونَ هَذَا ؟ فَيَقُولُونَ : نَعَمْ، هَذَا الْمَوْتُ. وَكُلُّهُمْ قَدْ رَآهُ. فَيُذْبَحُ، ثُمَّ يَقُولُ : يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ، خُلُودٌ فَلَا مَوْتَ". ثُمَّ قَرَأَ : { وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ } وَهَؤُلَاءِ فِي غَفْلَةٍ ؛ أَهْلُ الدُّنْيَا { وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ }فالجنة والنار خالدتان لا تفنيان أبدا ولا نعلم دليلا من كتاب الله ولا من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بفناء الجنة أو النار.

وإنما ذكرت بعض الآيات والآثار وسنذكر بحول الله وقوته هذه الأدلة التي تعلق بها من قال بفناء النار .

(٨)قال تعالى : (وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) (الأنعام:١٢٨)فهذه الآية تبين أن أولياء الجن من الأنس والجن كذلك الذين كتب الله عليهم دخول النار خالدين فيها إلا ماشاء الله فاله إستثنى منهم من يشاء فيعفو عنه ولا يقال هنا أن الكلام على عصاة الموحدين لأن تكملة السياق تبين أن الخطاب للكافرين كما في الآية" ٣٠"من نفس السورة" وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ"

(٩)قال تعالى {يَوْمَ يَأْتِ لا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ * فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ * خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ * وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيْرَ مجذود} [هود:١٠٥ – ١٠٨]

وجه الدلالة من الآيات أن الله عز وجل بين أن أولياء الجن من الإنس والجن كذلك الذين كتب الله عليهم دخول النار و الأشقياء خالدين في النار إلا مشاء ربك فوضعهم تحت المشيئة فكل أهل النار تحت مشيئة الله مؤمنهم وكافرهم ولذلك ذكر خلود أهل الجنة وهم أيضا تحت مشيئه ولكنه بين في ختام الآية أن عطائهم غير مجذود فبين أن عطائهم لا ينقطع فعلمنا أن أهل الجنة لا يخرجون منها ولا ينقطع نعيمهم فيها وأما أهل الشقوة فلم يبين لنا ما يراد بهم ولكن بين أنه فعال لما يريد فمن شاء عذبه ومن شاء غفر له.وقد روي في الأثر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في قوله – تعالى –: { إلاَّ مَا شَاء رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ} [هود: ١٠٧] قال: هذه الآية قاضية على القرآن كله.فكل لفظ في القرآن ذكر فيه العذاب فهو تحت المشيئة من شاء عذبه ومن شاء غفر له.

ويجاب عن هذا أن الاستثناء الذي ذكر في سورة الأنعام وفي سورة هود بأنه أراد إلّا قدر مدة ما بين بعثهم إلى دخولهم جهنم، يعني: [هم] خالدون في النار إلّا هذا المقدار

وقيل الاستثناء يرجع إلى قوم سبق فيهم علم الله أنهم يسلمون فيخرجون من النار، وقوله " إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ" قيل: حكيم بمن استثنى عليم بما في قلوبهم من البرّ والتقوى. والقول الأول أقوى لأن في سورة الأنعام بين ربنا أنهم شهدوا على أنفسهم أنهم كانو كافرين ويحتمل أن يكون الكفر المذكور في الآية عموم الكفر فيدخل فيه الأكبر والأصغر فمن المعلوم

أنه ليس كل من تعامل مع الجن من البشر كافر كفر أكبر وعليه يكون الإستثناء خاص بمن قال لا إله إلا الله فكان في قلبه مثقال ذرة من خير ولا يدخل في هذا الإستثناء المشركين أصحاب الكفر الأكبر لأن الله بين أنه لا يغفر الشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

وأما الأثر الذي روي عن أبي سعيد فمعناه صحيح ونعوذ بالله أن نقول عن الله مالم يقوله عن نفسه أو نتألى عليه فكل شيء بمشيأته والعباد عباده يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولكنه سبحانه هو الذي بين خلود الكفار في النار وبين لنا أنه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فوجب علينا أن نتبع مابينه لنا ربنا.ومن الأدلة التي إستدل بها من قال بفناء النار أو أنها تبقى وليس فيها أحد

(١٠) قال تعالى {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) "النبأ"وجه الدلالة أن الأحقاب جمع حقب وهو فطرة من الزمان فلو كان الكفار خالدين في النار أبد الآبدين لما كان لكلمة أحقابا معنى .ويجاب عن ذلك بما رجحه الطبري في تفسيره بعدما ذكر الأقوال وهو أنه يحتمل أن يكون المراد لبثين أحقابا في أنوع من العذاب فإذا إنقضت هذه الأحقاب كان لهم أنواع أخرى. فالجنة والنار خالدتان لا تفنيان أبدا وليس هناك أصلا من الأدلة التي ذكرناها دليل يبين فناء النار كما وهم البعض ولكن غاية ما فيها لو صح ماذهبو إليه أن أهل النار الكفار لهم أجل معين فيها وهو قول ضعيف وقد رويت بعض الآثار عن بعض الصحابة تبين أن النار تبقى خالية وليس فيها أحد ولم يثبت منها شيء

روي عن عمر أنه قال: (لو لبث أهل النار كقدر رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه)وسنده منقطع فالحسن لم يسمع من عمر

وروي عن بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : (انه لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نار) وهذا الأثر معناه صحيح فلا ينبغي لأحد أن يحكم على أحد بعينه بجنة ولا نار فلعل الكافر أن يسلم ولعل المذنب أن يتوب ولعل بعض من تراهم كفار يكونو مسلمين ولكن يخفون ذلك خوفا على أنفسهم ولعل من تراه صالحا يرائي عياذا بالله فلا يقبل عمله ويختم له بالنار.وهذا الأثر فيه عبد الله ابن صالح ضعيف

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال : (ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد)

قال الشيخ الألباني في "تحقيق كشف الأستار" وهذا إسناد مظلم كما ترى

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال

(ما أنا بالذي لا أقول إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد)لم تتم دراسة إسناده.

قال الإمام البغوي معلقا على أثر ابن مسعود وأبي هريرة رضي الله عنهما:

ومعناه عند أهل السنة –إن ثبت– إنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان وأما مواضع الكفار فممتلئة أبدا "معالم التنزيل"

(٣٧)باب الإيمان بأن (سب الدين كفر)

من سب الله أو رسوله أو دينه أو إستهزء بشيء مما نزله الله عز وجل أو رده جحودا فهو كافر كفر مخرج من الملة إن كان بالغ عاقل يعرف معنى ما يقول أما إن كان صبي لم يبلغ أو مجنون أو سكران أو نائم فسب دين الله أو تلفظ بالكفر فإنه لا يكفر لذهاب عقله ما دام لا يعي ما يقول.

(١)قال تعالى: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ) (التوبة/٦٥، ٦٦)من أكبر الكبائر أن يتجرء العبد على سب الله أو سب دينه أو رسوله أو يستهزئ بما أنزله سبحانه وتعالى.

قال الإمام إسحاق إبن راهويه : قد أجمع المسلمون أن من سب الله أو سب رسوله عليه الصلاة والسلام أو دفع شيئا مما أنزل الله أو قتل نبيا من أنبياء الله أنه كافر بذلك وإن كان مقرا بما أنزل الله. يعني مقرا بكل ما أنزل الله إلا الشيء الذي رده جحودا.

قال ابن المنذر: "أجمع عوام أهل العلم على أن من سب النبي صلى الله عليه وسلم فحده القتل وممن قاله مالك والليث وأحمد وإسحاق وهو مذهب الشافعي. وحكى عن النعمان أنه قال: لا يقتل من سبه من أهل الذمة . والذي عليه عامة الفقهاء أنه يقتل

وقال محمد بن سحنون: "أجمع العلماء على أن شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر".

واختلفوا هل يستتاب من سب النبي صلى الله عليه وسلم أم يقتل ولا يستتاب. فسب دين الله عز وجل من أشنع الجرائم وسبب في غضب الله عز وجل

(٢)قال تعالى {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا (٥٧/الأحزاب)

وقد إستفاض إبن تيمية رحمه الله في" الصارم المسلول على شاتم الرسول "وفصل في القول ورد على قول القاضي أبي يعلى وبين أن ماحكاه عن الفقهاء في أن الساب إذا كان مستحلا كفر وإن لم يكن مستحلا فسق وبين أنه خطأ لم يصح والمعروف عنهم أن من سب الله أو رسوله أو دينه كفر سواء كان مستحلا أو غير مستحل قال: وذكر القاضي عن الفقهاء أن ساب النبي صلى الله عليه وسلم إن كان مستحلا كفر وإن لم يكن مستحلا فسق ولم يكفر كساب الصحابة وهذا نظير ما يحكى أن بعض الفقهاء من أهل العراق أفتى هارون أمير المؤمنين فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم أن يجلده حتى أنكر ذلك مالك ورد هذه الفتيا مالك وهو نظير ما حكاه أبو محمد إبن حزم أن بعض الناس لم يكفر المستخف به.

وقد ذكر القاضي عياض بعد أن رد هذه الحكاية عن بعض فقهاء العراق والخلاف الذي ذكره بما نقله من الإجماع عن غير واحد وحمل الحكاية على أن أولئك لم يكونوا ممن يوثق بفتواه لميل الهوى به أو أن الفتيا كانت في كلمة اختلف في كونها سبا أو كانت فيمن تاب. ذكر أن الساب إذا أقر بالسب ولم يتب منه قتل كفرا لأن قوله إما صريح كفر كالتكذيب ونحوه أو هو من كلمات الاستهزاء أو الذم فاعترافه بها وترك توبته منها دليل على استحلاله لذلك وهو كفر أيضا قال: فهذا كافر بلا خلاف.

وقال في موضع آخر: إن من قتله بلا استتابة فهو لم يره ردة وإنما يوجب القتل فيه حدا وإنما يقول ذلك مع إنكاره ما شهد عليه به أو إظهاره الإقلاع عنه والتوبة ونقتله حدا كالزنديق إذا تاب قال: ونحن وإن أثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع عليه بذلك لإقراره بالتوحيد والنبوة وإنكاره ما شهد به عليه أو زعمه أن ذلك كان منه ذهولا ومعصية وأنه مقلع عن ذلك نادم عليه.وبعد ماذكر إبن تيمية رحمه الله كلام القاضي رد هذا القول من عدة وجوه نكتفي بذكر أحدها: أن الحكاية المذكورة

عن الفقهاء أنه إن كان مستحلا كفر وإلا فلا ليس لها أصل وإنما نقلها القاضي من كتاب بعض المتكلمين الذين نقلوها عن الفقهاء وهؤلاء نقلوا قول الفقهاء بما ظنوه جاريا في أصولهم أو بما قد سمعوه من بعض المنتسبين إلى الفقه ممن لا يعد قوله قولا وقد حكينا نصوص أئمة الفقهاء وحكاية إجماعهم ممن هو أعلم الناس بمذاهبهم فلا يظن ظان أن في المسألة خلافا يجعل المسألة من مسائل الخلاف والاجتهاد وإنما ذلك غلط لا يستطيع أحد أن يحكي عن واحد من الفقهاء أئمة الفتوى هذا التفصيل البتة.

فسب دين الله كبيرة من أكبر الكبائر وقد عمت هذه البلوى في كثير من الناس وإسخفو بها حتى تناقلها الصغار عن الكبار ولا حولا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وتجد والواحد من هؤلاء يأتي ويقول رد علي ديني فقد كنت في وقت غضب فالماذا في وقت غضبك هذا لم تحرق بيتك أو تطلق زوجتك لماذا إخترت سب الدين إنه الإستخفاف بالدين ولا حولا ولاقوة إلا بالله.

(٣٨)باب الإيمان بأنه .

(ليس كل كفر جاء في الشرع كفر أكبر)

ليس كل كفر جاء في الشرع يراد به الكفر المخرج من الملة بل قد يطلق لفظ الكفر في الشرع ولا يراد به الكفر الأكبر وما ضل من ضل من الضالة الذين كفرو المسلمين وإستحلو دمائهم إلا ببعدهم عن فهم سلف الأمة للكتاب والسنة فلم يفرقو بين الكفر الأكبر وبين الكفر الأصغر فقالو من لم يحكم بما أنزل الله كافر كفر أكبر وحلال دمه ولم يفرقو بين كونه مقرا بجوب تحكيم شرع الله ولكنه حكم بغيره لسبب في نفسه أو منكرا له وقتلو المسلمين وكفروهم وما ذلك إلا بجهلهم بالكتاب والسنة وعدم سيرهم على عقيدة أهل السنة فالكفر في اللغة هو الستر والتغطية ولذلك أطلق الله عز وجل إسم الكفار على المزارعين

(١)قال الله عز وجل (كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ)[الحديد:٢٠] وسمي المزارع بالكافر لأنه يستر البذور في الأرض

وأطلق لفظ الكفر على النساء لكونهم ينكرون ما أنعم به أزواجهم عليهم

(٢)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (أُرِيتُ النَّارَ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ يَكْفُرْنَ ". قِيلَ : أَيَكْفُرْنَ بِاللَّهِ ؟ قَالَ : " يَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ ، وَيَكْفُرْنَ الْإِحْسَانَ ؛ لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا قَالَتْ : مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ)رواه البخاري فالأية والحديث فيهما دلالة قطعية على أنه ليس كل الكفر نوع واحد ويخرج من الملة وهل يقول عاقل أن الفلاحين والنساء كفار خارجون من الملة فهذا مالم يقوله أحد .فالكفر معناه الستر والتغطية

وسُمِّيَ الكافر كافراً لأن الكُفر غطَّى قلبه .

والكفر شرعا: ضد الإيمان، فيكون قولا وعملا وإعتقادا وتركا، كما أن الإيمان قول وعمل وإعتقاد.

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى : الكفر عدم الإيمان بالله ورسوله، سواء كان معه تكذيب أو لم يكن معه تكذيب، بل شك وريب أو إعراض عن هذا حسدا أو كبرا أو اتباعا لبعض الأهواء الصارفة عن إتباع الرسالة.

فاليس كل الكفر واحد وإنما

الكفر المخرج من الملةيكون بالتكذيب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم وبالإستكبار والإعراض عما جاء به وبالشك فيه ويكون بالنفاق الإعتقادي بحيث يبطن الكفر ويظهر الإيمان .

والدليل على ذلك.

(٣)قال تعالى: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَما جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ)

[العنكبوت:٦٨]

(٤)قال تعالى: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)

[البقرة:٣٤]

(٣٩)باب الإيمان بأن

(كل محدثة في الدين بدعة وكل بدعة ضلالة)

فكل أمر لم يأتي في الكتاب ولا في السنة فاليس من الدين في شيء بل هو محدث لا يحل التعبد لله به لأن الدين قال الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما لم يأتي في الكتاب أو السنة ولم تجمع عليه الأمة فاليس من الدين في شيء بل هو بدعة إن إعتقد فاعله أنه من الدين لأن البدعة نوعان بدعة دينية وبدعة دنياوية والذي يفرق بينهما نية العبد فلو عمل العمل وتعبد لله به وظن أنه من الدين وهذا العمل لم يرد في الكتاب أو السنة فهو بدعة في الدين وهذا العمل محرم مردود على صاحبه وأما إن عمل العمل وهو يعلم أنه ليس من الدين ولم يتعبد لله به فهو بدعة دنياوية منها الحسنة ومنها السيئة فالبدعةالحسنة ما كان فيها مصلحة دينية أو دنياوية وليس فيها إثم .والبدعةالسيئة ما كان فيها إثم أو كان فيها ضرر .

وأما البدع في الدين فكلها سيئة حرام وليس في الدين بدعة حسنة كما يتوهم البعض أن معنى قوله صلى الله عليه وسلم "من سن في الإسلام سنة حسنة " يعني إبتدع.

(١)عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : (جَاءَ نَاسٌ مِنَ الْأَعْرَابِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَلَيْهِمُ الصُّوفُ، فَرَأَى سُوءَ حَالِهِمْ، قَدْ أَصَابَتْهُمْ حَاجَةٌ، فَحَثَّ النَّاسَ عَلَى الصَّدَقَةِ، فَأَبْطَئُوا عَنْهُ، حَتَّى رُئِيَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، قَالَ : ثُمَّ إِنَّ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ جَاءَ بِصُرَّةٍ مِنْ وَرِقٍ ، ثُمَّ جَاءَ آخَرُ، ثُمَّ تَتَابَعُوا حَتَّى عُرِفَ السُّرُورُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ؛ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ . وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ ؛ كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ)فظنو أن معنى سن في الحديث يعني إبتدع فقالو أن في الإسلام بدعة حسنة وبدعة سيئة وليس الأمر كذلك فمعنى سن يعني أحيا سنة غفل عنها الناس فعملها هو وعمل الناس مثله. فسبب قول النبي صلى الله عليه وسلم هذا أنه رأى ناس فقراء فحث الناس على الصدقة فأبطئو عليه حتى تصدق رجل من المسلمين بصرة من فضة فتابعه الناس وتصدقو

فاليس هناك بدعة حسنة في الدين فدين الله كامل لا يقبل الزيادة ولا النقصان.

(٢) قَال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا (٣)} [المائدة]. فدين الله كامل لا يقبل زيادة ولا نقصان فمن زاد فيه أو نقص فعمله باطل مردود عليه

(٣)عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ فِيهِ فَهُوَ رَدٌّ) رواه البخاري وهو عند مسلم بدل "فيه"منه"

وقد حذرنا النبي صلى الله عليه وسلم من محدثات الأمور وبين أن كل محدثة بدعة

(٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ، يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ، وَيَقُولُ : " بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ". وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ : " أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرُ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ، وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ ". ثُمَّ يَقُولُ : " أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ)رواه مسلم.

فكل محدثة في دين الله بدعة وكل بدعة ضلالة

ولكن ينبغي أن يعرف طالب العلم الفرق بين البدعة في الدين وبين البدعة في الدنيا والتي منها الوسائل الحديثة التي تعين العبد على أمور دينه أو دنياه. فالبدعة في الدين هي التي يعملها العبد ويتعبد لله بها بذاتها وأما مجرد الفعل لا يكون بدعة في الدين إلا إذا إعتقد العبد أنه من الدين وهذا تفصيل مهم فقد إلتبس على البعض وظن أن مجرد العمل إذا لم يكن من الدين فهو بدعة فقالو المسبحة من البدع في الدين والأمر فيها ليس كذلك على إطلاقه ففيه تفصيل فلو سبح العبد بالمسبحة وقال هي سنة مستحبة أو أن النبي كان يسبح بها كان عمله بدعة دينية وعمله مردود عليه أما إذا قال أنا أعرف أنها ليست من الدين ولكنها وسيلة تعينني على التسبيح وضبط الأعداد لم تكن بدعة محرمة بل هي وسيلة من بدع الدنيا الحسنة مثل مكبرات الصوت وفرش المساجد وما شابه فهذا التفريق مهم ينبغي معرفته نسأل الله أن يرزقنا وإياكم العلم النافع والعمل الصالح إنه الولي على ذلك والقادر عليه.

(٤٠)باب الإيمان بأن (الصحابة كلهم عدول)

فهم أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم ولا يحل الإنتقاص منهم ولا الطعن فيهم رضي الله عنهم جميعا .

وقد زكاهم الله عز وجل في كتابه

(١)قال جل وعلا:(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...)[الفتح:٢٩]،

(٢)قال تعالى (لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) [التوبة:٨٨]

(٣)قال سبحانه وتعالى (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) [التوبة:١٠٠] وقد فازو رضي الله عنهم بشرف صحبة النبي صلى الله عليه وسلم ومن سيريهم نتعلم أروع المواعظ .

ولا نعلم خلافا بين أهل السنة والجماعة على عدالة الصحابة رضي الله عنهم .

قال إبن عبد البر رحمه الله في " الاستيعاب"

قد كفينا البحث عن أحوالهم لإجماع أهل الحق من المسلمين وهم أهل السنة والجماعة على أنهم كلهم عدول.

وقال إبن كثير: والصحابة كلهم عدول عند أهل السنة والجماعة. ثم قال: وقول المعتزلة: الصحابة كلهم عدول إلاَّ من قاتل عليًّا قول باطل مردود. ثم قال: وأما طوائف الروافض وجهلهم وقلة عقلهم، ودعاويهم أن الصحابة كفروا إلاَّ سبعة عشر صحابيًّا – وسموهم – فهذا من الهذيان بلا دليل.

وقال إبن الصلاح في مقدمته: ثم إن الأمة مجمعة على تعديل جميع الصحابة، ومن لابس الفتنة منهم فكذلك، بإجماع العلماء الذين يعتد بهم في الإجماع، إحسانًا للظنِّ بهم، ونظرًا إلى ما تمهد لهم من المآثر، وكأن الله سبحانه وتعالى أتاح الإجماع على ذلك لكونهم نقلة الشريعة. انتهى.

وعدالة الصحابة هذه لا يدخل فيها المنافقين ولا الذين إرتدو وماتو على غير الإسلام فهؤلاء ليسو من الصحابة المقصودين بالعدالة.فالصحابي هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنًا به ومات على ذلك. هذا هو المعنى

المخصوص للصحابة وهؤلاء هم المقصودين بالعدالة عند أهل السنة وإلا فقد أطلق النبي صلى الله عليه وسلم لفظ أصحابي على من ليس عدل فغير وبدل كما جاء عند البخاري "فَأَقُولُ : أَصْحَابِي. فَيَقُولُ : لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ "

(٤)عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (" لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي ؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ).رواه البخاري.

جاء في تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي

قوله : " لا تسبوا أصحابي " الخطاب بذلك للصحابة لما ورد أن سبب الحديث أنه كان بين خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد ، فالمراد بأصحابي أصحاب مخصوصون وهم السابقون على المخاطبين في الإسلام ، وقيل نزل الساب منهم لتعاطيه ما لا يليق به من السب منزلة غيرهم ، فخاطبه خطاب غير الصحابة . قال القاري : ويمكن أن يكون الخطاب للأمة الأعم من الصحابة حيث علم بنور النبوة أن مثل هذا يقع في أهل البدعة فنهاهم بهذه السنة.

فافضل الصحابة عظيم ومن طعن فيهم فقد طعن في القرآن والسنة فلولاهم ما وصل إلينا الدين رضي الله عنهم وجمعنا بهم مع حبيبينا صلى الله عليه وسلم في الفردوس الأعلى من الجنة.

(٤١)باب الإيمان بأن (طلب المدد والرزق لا يكون إلا من الله)

إعلم رحمني الله وإياك أن الدعاء من أفضل العبادات فلا يحل دعاء غير الله ولا طلب الرزق ولا شفاء المرض ولا قضاء الحوائج إلا من الله فمن دعى غير الله أو طلب المدد وقضاء الحوائج وشفاء المرضى من ميت وإستغاث به من دون الله فقد أشرك لأن العبادة لا تكون إلا لله والله سبحانه وتعالى أغنى الشركاء عن الشرك.

(١)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : (قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ) رواه مسلم.

فالذي يملك الرزق وبيده الشفاء ويملك الضر والنفع هو الله والميت لا يملك لنفسه ضر ولا نفعا فكيف يملكه لغير فمن قال مدد ياحسين مدد يابدوي أغثني ياجيلاني فقد أشرك مع الله غيره.وطلب الإعانة وغير ذلك من حي لا شيء فيه إن كان

بمقدور الحي فعله فهناك أشياء قد يمدك بها الحي بأن يعطيك مال أو يكون سبب في رزقك ولكن المسبب هو الله وأما الميت فكيف يمدك بالرزق وكيف يشفي مرضك وكيف يرزقك الولد وهو نفسه لا يملك ضر ولا نفع لنفسه بل إن نبينا صلى الله عليه وسلم نفسه لا يملك لنفسه نفع ولا ضر وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم "إذا سألت فاسأل الله"

(٢)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ :(كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا فَقَالَ : " يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ : احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ)رواه الترمذي. وإسناده صحيح. فلا تسأل إلا الله ولا تدعوا غير الله فهو الذي بيده ضرك ونفعك.

وإن كان صاحب القبر الذي تطلب المدد منه ولي من أولياء الله فهو قد مات ولا يملك لك شيء فكيف تدعوه لو كان هذا الولي حي وجعلته يدعو لك فهو حسن لاشيء في ذلك وأما بعد مماته فلا وأما ما نراه الآن من جهل وفساد فاليس هذا من الدين في شيء والولاية ليست توريث تجد بعض الناس هداهم الله لا يصلي ويشرب المخدرات والسجائر ويقولون عليه سيدنا الشيخ فلان ورث الولاية من أبيه وأن له كرامات ويفعل ويفعل ولو نظرت إليه لوجدته من أبعد الناس عن الدين وبعضهم يتعامل بالسحر حتي يخدمه الجن ويعملو له أمور من خوارق العادات فايفتتن الناس به ويظنون أنه من الأولياء وأنه مكشوف عنه الحجاب والحقيقة أن الولي هو من يتقي الله ويطيعه فكل عبد مؤمن يتقي الله ويطيعه فهو ولي من أولياء الله.

(٣)قال تعالى: (أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ (٦٣) (يونس)

فالولي هو من يتقي الله ويطيعه وليس من يترقص في الموالد ويقول هو ذكر ولا ندري أي ذكر هذا الذي يكون بالطبل والرقص فهل هو أعلم من النبي صلى الله عليه وسلم أم أتى إلينا بدين جديد فإذا وجدت العبد تقي متبع لدين الله يسير على نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من أولياء الرحمن وإذا وجدت العبد بعيد عن كتاب الله وسنة رسول الله يبتدع في دين الله ماليس منه فهو ولي للشيطان وليس ولي للرحمن والله عز وجل لم يجعل نبيه صلى الله عليه وسلم واسطه بينه وبين العباد

(٤)قال تعالى: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: ١٨٦] فالله سبحانه قال" فإني قريب" ولم يقول فقل إني قريب فلم يجعل النبي صلى الله عليه وسلم واسطه مع عظم قدره عند الله وقد كان بعض الصحابة يقصدونه لكي يدعو لهم فقد ذهبت إليه إمرأة سوداء تشتكي له أنها تصرع وتتكشف فأخبرها صلى الله عليه وسلم إن شئتي صبرتي ولكي الجنة فقالت ولكني أتكشف فدعا لها

فهو صلى الله عليه وسلم عليه وسلم له مقام رفيع عند الله عز وجل ويمكن سؤال الله بمحبته وإتباعه والإيمان به مثل أن يقول العبد ربنا أمنا بما أنزلت وأتبعنا الرسول فاغفر لنا ومثل أن يقول العبد اللهم إني أحب عبدك ونبيك محمد صلى الله عليه وسلم فاغفر لي فقد جائه رجل ضرير يطلب منه الدعاء فعلمه النبي صلى الله عليه وسلم دعاء يقوله فرد الله على الرجل بصره

(٥)عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرَ الْبَصَرِ أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي. قَالَ : (إِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ، وَإِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَاكَ فَهُوَ خَيْرٌ ". فَقَالَ : ادْعُهُ. فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ، وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتُقْضَى لِي، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ)رواه أحمد بسند صحيح

فالنبي صلى الله عليه وسلم مع منزلته ومكانته عند الله إلا أن الله لم يجعله واسطه بينه وبين العباد فإذا سألت فلا تسأل إلا الله وإذا دعوت فلا تدعو إلا الله لأن العبادة لا تكون إلا لله وأما ما يفعله بعض أهل البدع من نذر لغير الله وعاء غير الله وغير ذلك إنما هو من الشرك ويقولون نحن نعلم أن صاحب القبر لا يضر ولا ينفع ولكننا نتقرب به إلى الله وهذا نفس ما كان يفعله الكفار فإنهم كانو يعبدون آلهتهم ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله فكانو يعرفون أن الآلهة التي يعبدونها لا تضر ولا تنفع . وكانو يقولون هؤلاء شفعائنا عند الله.

(٦)قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ (٣) (الزمر) ونحن الآن نرى بعض الناس يتعلقون بأصحاب القبور والأضرحة وكأنهم آلهة من دون الله ولا حولا ولا قوة إلا بالله فيطوفون حول قبورهم ويتمسحون بهم

ويذبحون الذبائح وقد تجد منهم من يتبرك بالمساجد التي تكون عند ضريح الولي وقد لعن اليهود والنصارى بسبب إتخاذ قبور أنبيائهم مساجد

(٧)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ)رواه مسلم. وقد قيل أن يعوق ويغوث ونصرا تلك الآلهة التي كانت تعبدها الكفار على عهد نبي الله نوح عليه السلام قيل أن تلك الآلهة كانت تماثيل لأناس صالحين منهم لما ماتو بنو لهم تماثيل حتى لا ينسوهم ويقتدون بهم في عبادتهم فلما مات الذين كانو يعرفون أنهم ليسو آلهة وإنما هم تماثيل بعض الصالحين جاء من بعدهم فعبدوهم .ومن عجيب ما سمعت من هؤلاء تعلق بعضهم.

(٨)بقوله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ واستغفر لهم الرسول لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا}[النساء:٦٤]

فقالوا "إذ جاؤك"يعني حيا وميتا وهذا لا يصح البتة فإن إستغفار النبي صلى الله عليه وسلم يكون في حياته وليس بعد موته ولعل ما جعلهم يفهمون هذا

ما ذكره إبن كثير فقد أورد قصة العتبي الذي كان جالساً بجانب قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجلٌ يثني على رسول الله ويقول: جئتك مستغفراً يا رسول الله! فاطلب من الله أن يغفر لي وأنشد أبيات شعر: يا خير من دفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهن القاع والأكم نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه.

إلى آخر أبيات الشعر ثم انصرف الرجل، فنام العتبي فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: اذهب إلى الأعرابي وقل له: إن الله قد غفر لك، فهذه القصة ضعيفة جدا لا نعلم لها إسناداً أصلا.ولو كان دعاء الرسول من دون الله وطلب المغفرة منه جائز لفعله أصحابه رضي الله عنهم فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي لهم يدعو الله لهم ويؤمنون على دعائه في طلب المطر فلما مات ما ذهبو عند قبره وقالو أدعو لنا الله أن يسقينا ولكن قال عمر اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا . يعني نجعله وسيلة بحيث يدعو لنا ونحن نؤمن على دعائه لتسقناوإنا نتوسل إليك بعم نبينافاسقنا ولو

كان النبي صلى الله عليه وسلم يستغفر لأحد وهو ميت أو يدعوا لأحد لكان أول من طلب ذلك منه بعد وفاته هم صاحبته رضي الله عنهم

(٩)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ : فَيُسْقَوْنَ.رواه البخاري. فخير الهدي هدي النبي صلى الله عليه وسلم وأعلم الناس بالحلال والحرام هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالخير كل الخير فاتباع من سلف والشر كل الشر في إبتداع من خلف.

(٤٢)باب الإيمان بوجوب.(طاعة ولي الأمر المسلم فيما لا معصية فيه)

طاعة ولي الأمر المسلم واجبة فيما لا معصية فيه ولا يحل الخروج عليه فلا يجوز الخروج على الحاكم إلا إذا أتى بكفر بواح فيه من الله برهان. ولا تجوز معصيته إلا إذا أمر بحرام فإن أمر بحرام فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

(١)قَالَ الله تَعَالَى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ [النساء:٥٩] فقد أمر الله عزوجل بطاعة أولي الأمر المسلمين ما دامو يؤمرو بما يرضي الله عز وجل وليس فيه معصية أما إذا أمر بمعصية كأن يأمر بظلم الناس أو أخذ أموالهم بغير حق فلا يسمع له ولا يطاع في المعصية ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم .فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

(٢)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)رواه البخاري ومسلم وهذا لفظ البخاري

(٣)عن عبد الله ابن عمر قال :سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ، وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً)رواه مسلم. فطاعة ولي الأمر واجبة على المسلمين فلا تجوز معصيتهم بل يكون لولي الأمر بيعة في عنق المسلم فيسمع له ويطيع ما دام ولي الأمر مسلم ويأمر بما يرضي الله وأما إذا كان الحاكم كافر فلا ولاية له على مسلم بل يجب على المسلمين خلعه وتنصيب مسلم مكانه إن كانت لهم القدرة

على ذلك.قال القاضي عياض : أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر ، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر إنعزل ، قال : وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها

(٤)عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ قَالَ : دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا : أَصْلَحَكَ اللَّهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ، سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (دَعَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَبَايَعْنَاهُ.

٧٠٥٦ فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا، أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا ، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا ، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ.)رواه البخاري فهذا الحديث يدل على وجوب السمع والطاعة وألا ننازع ولاة الأمور إلا إن رأينا منهم كفرا ظاهر فيه من الله برهان فإن إرتد ولي الأمر عن الإسلام وجب خلعه إن قدر على ذلك وذكر إبن حجر في فتح الباري قول النووي أن المراد بالكفر في الحديث المعاصي ولا يعني ذلك جواز قتال ولادة الأمر إن عصو فالنووي نفسه نقل الإجماع على حرمة قتال الولاة المسلمين وإن ظلمو وفسقو ومثل ذلك ذكره إبن تيمة واعترض على دعوى الإجماع في هذه المسألة بعض أهل العلم وذكرو أن الإجماع لم يثبت وعلى كل حال فحمل اللفظ على ظاهره أولى فلا يجوز الخروج على الحكام وقتالهم إلا إذا أتو بالكفر الظاهر الذي فيه من الله برهان وأما إن كان ولي الأمر فاسقا أو فاجرا فلا يحل الخروج عليه وإنما ينكر عليه بالرفق واللين ولا يجوز قتاله مادام مسلم يصلي وإن كان ظالم أو فاجرا وينكر عليه ما يفعله من معاصي باللسان بدون فضحه أو التشهير به إن إستطاع المسلم ذلك

(٥)عَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ ، أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الْغَرْزِ : أَيُّ الْجِهَادِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : (كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ)رواه النسائي وهو حديث حسن لغيره رجاله ثقات إلا أن طارق ابن شهاب قيل أنه رأى النبي ولم يسمع منه ولكن الحديث له شاهد فمعناه عن أبي داوود والترمذي من طريق عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري.وعطية ضعيف ولكنه حسن في المتابعة.فالواجب على المسلم إنكار المنكر قدر المستطاع فإن قدر المسلم على تغير المنكر الذي يفعله الحاكم بلسانه فهو حسن بدون فضحه أو التشهير به

فإن لم يقدر على تغير المنكر بلسانه أنكره بقلبه وأما من رضي بظلمه ومعاصيه أو أعانه على ذلك فهو آثم.

(٦) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ :

(إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ، فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا نُقَاتِلُهُمْ ؟ قَالَ : " لَا، مَا صَلَّوْا)رواه مسلم.

(٤٣)باب الإيمان بحرمة (التفرق والتحزب في الدين)

قد نهى الله عز وجل عن التحزب والتفرق في دين الله عز وجل فلا يحل لمسلم أن ينتمي إلى جماعة من الجماعات ولا لفرقة من الفرق إنما يسير على كتاب الله وعلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بفهم سلف الأمة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا هو الحق الذي لا مرية فيه فإن سئلت تبع أي جماعة أنت فقل أنا مسلم وفقط فاله عز وجل سماكم المسلمين وهذا هو أحسن الأقوال

(١)قال تعالى (ومنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٣)} [فصّلت] فالحق واحد لا يتعدد والحق الذي لا يصح من المسلم إتباع غيره ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته رضي الله عنهم وقد إفترقت هذه الأمة إلى فرق وجماعات كلها على باطل إلا فرقة واحدة هي التي على الحق وهم جماعة المسلمين أتباع النبي صلى الله عليه وسلم الذين يسيرون على نهجه فيتبعون الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة صحابة النبي صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم جميعا وهؤلاء هم أهل السنة والجماعة وسمو بهذا الإسم لإتباعهم لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم فمن إتبع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بفهم صحابته رضي الله عنهم فهو من أهل السنة حقا ومن خالف هذا الأصل فاليس منهم وإن من عقيدة الإسلام حرمة التحزب والتفرق في الدين وقد أمرنا سبحانه بإتباع صراطه المستقيم

(٢)قال تعالى {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} » [الأنعام: ١٥٣] وأمرنا ﷻ بالإعتصام بحبله

(٣) قال تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]فقد أمرنا الله سبحانه بالإعتصام والتمسك بحبله قيل المقصود بحبله هو القرآن فينبغي على المسلمين أن يعتصمو بكتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وسلم فهما الدستور الوحيد والمنهاج ولا يحل للمسلم أن يحكم بغيرهم أو يخالفهم وقد نهانا سبحانه عن التفرق

(٤)قال تعالى {وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران: ١٠٥] فقد حذرنا سبحانه أن نكون كالذين تفرقو وإختلفو من بعد ما جاتهم البينات بل وقد بين سبحانه أن الذين فرقو دينهم وكانوا شيعا يعني فرق وجماعات ليسوا تبع النبي صلى الله عليه وسلم

(٥)قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ (١٥٩)} [الأنعام]

(٦)قال تعالى: {وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ (٣٢)} [الرّوم] فقد حذرنا ربنا أن نكون من المشركين الذين تفرقوا في دينهم وكانو أحزاب كل حزب فرح بما عنده وقد أمرنا الله عز وجل بالإعتصام بحبله سبحانه وكره التفرق

(٧)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا ؛ فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةَ الْمَالِ)رواه مسلم. فينبغي على المسلم التمسك بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتبع سبيل المؤمنين الذين يسيرون على نهج الصحابة رضي الله عنهم وقد أخبرنا نينا صلى الله عليه وسلم أنه ستبقى طائفة من أمته ثابتين على الحق حتى يأتي أمر الله.

(٨) عَنْ ثَوْبَانَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَذَلِكَ)رواه مسلم قال البخاري : هم أهل العلم ، وقال أحمد بن حنبل : إن لم يكونوا أهل الحديث فلا أدري من هم ؟ قال القاضي عياض : إنما أراد أحمد أهل السنة والجماعة ، ومن يعتقد مذهب أهل الحديث .فالنبي صلى الله عليه وسلم بين أن هناك فرقة من أمته ثابتين على الحق لا يضرهم من خذلهم وهذه الفرقة هم أهل السنة أتباع النبي صلى الله عليه وسلم ولا شك أن منهم وعلى رأسهم علماء هذه الأمة الذين أخلصو لله في القول والعمل فهم مصابيح هذه الأمة جعلنا الله وإياكم منهم.

(٤٤)باب الإيمان بأن.

(من حلف بغير الله فقد أشرك)

لا يجوز الحلف بشيء غير الله عز وجل فمن حلف بغير الله فقد أشرك وليس المقصود الشرك الأكبر الذي يخرج من الملة وإنما هو شرك دون شرك

(١)عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : كَانَ عُمَرُ يَحْلِفُ : وَأَبِي. فَنَهَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : (مَنْ حَلَفَ بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى فَقَدْ أَشْرَكَ)رواه أحمد وهو حديث صحيح . وفي رواية مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللَّهِ ". فَقَالَ فِيهِ قَوْلًا شَدِيدًا."قال صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود

(فقال له) أي: للرجل. (فقد أشرك) قال القاري: قيل معناه: من أشرك به غيره في التعظيم البليغ فكأنه مشرك إشراكا جليا فيكون زجرا بطريق المبالغة. قال ابن الهمام: من حلف بغير الله كالنبي صلى الله عليه وسلم والكعبة لم يكن حالفا لقوله صلى الله عليه وسلم: {من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت} متفق عليه. انتهى. قال الحافظ: والتعبير بقول: {أشرك} للمبالغة في الزجر والتغليظ في ذلك، وقد تمسك به من قال بتحريم ذلك. انتهى.

(٢)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَدْرَكَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ وَهُوَ يَسِيرُ فِي رَكْبٍ، يَحْلِفُ بِأَبِيهِ، فَقَالَ : (أَلَا إِنَّ اللَّهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، مَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَحْلِفْ بِاللَّهِ أَوْ لِيَصْمُتْ)رواه البخاري. فلا يحل لأحد أن .يحلف بالكعبة .ولا برحمة أبيه .ولا بشبكة العشرة. ولا بالغالي عنده.ولا بالنبي ولا بغير ذلك فمن حلف بغير الله فقد أشرك لأن الحلف تعظيم للمحلوف به وذلك التعظيم لا ينبغي إلا لله ومن صور التعظيم ماكان يفعل من تعظيم الإبن لأبيه بأن يحلف الإبن بأبيه فلما سمع النبي صلى الله عليه وسلم عمر يحلف بأبيه نهى عن الحلف بالآباء وقال من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت.

(٤٥)باب الإيمان بأن.

(خبر الواحد حجة يعمل به في العقيدة وفي الأحكام)

فاخبر الواحد حجة في الدين ويقطع بصحته إذا توفرت فيه شروط الصحة وكنا قد ذكرنا في كتابنا "علم الحديث"شروط صحة الحديث وبينا أنواعه .

فاخبر الواحد حجة عند جماهير أهل العلم ومنهم من ذهب

أن خبر الواحد يفيد غالب الظن ويجب العمل به دون العلم وهو قول جمهور الحنفية والشافعية والمشهور في مذهب مالك ومنهم من قال أن خبر الواحد يفيد العلم والعمل وهو قول أحمد إبن حنبل وإبن حزم وداود الظاهري وهو الراجح فهو حجة تفيد العلم القطعي إذا توفرت فيه شروط الصحة ويعمل به في الأحكام والعقيدة. وأما من قال أن خبر الواحد يجب العمل به دون العلم لأنه ظني الثبوت وليس قطعي الثبوت لأن خبر الواحد قد يقع فيه الخطأ والوهم فهو قول متناقض فلو كان خبر الواحد يفيد الظن فكيف يجب العمل به ومن المعلوم أن الله لا يعبد بالظن وقد جاء القرآن يذم الظن .

(١)قال تعالى: {إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا} [النجم: من الآية ٢٨]فكيف يصح أن نقول يجب العمل بشيء لم نتأكد من ثبوته أصلا ومن المعلوم أن وجوب الأخذ بالحديث والعمل به حكم شرعي لا يثبت بالظن لأن الظن أكذب الحديث.والراجح والله أعلم أن خبر الآحاد إذا توفرت فيه شروط الصحة يفيد العلم القطعي ويعمل به.ويتضح مما ذكرنا أن جماهير أهل العلم وأئمة المذاهب الأربعة يرون أن خبر الآحاد حجة إذا توفرت فيه شروط الصحة وأن الخلاف بينهم إنما هو في هل يفيد علم اليقين أم لا ولم يخالف في حجية خبر الآحاد إلا من لا يعتد بقوله كالعتزلة والخوارج والرافضة فهم يرون أن خبر الواحد لا يفيد العلم ولا العمل لأنه لا يجب العمل بشيء في ثبوته ظن وكيف يجب العمل بشيء لم يتيقن صحته فالواحد قد يخطئ ويهم فيأتي في الدين ما ليس منه.

قلت ومن قال بهذا القول إنما يرد ثلاث أرباع السنة فأغلب الآحاديث آحاد بل وكثير من العبادات لم تثبت إلا بأخبار الآحاد فاخبر الآحاد حجة إذا توفرت فيه شروط الصحة.

(٢)قال تعالى {يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ} [الحجرات: ٦]. وجه الدلالة أن الله أمر بالتبين من خبر الفاسق فدل مفهوم الآية أن العدل إذا جاء بالخبر قبل منه ولا نتثبت من قوله لكونه عدل ثقة وليس بفاسق. وهذا يدل على أن خبر الواحد العدل حجة.

(٣)قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ} [التوبة: ١٢٢]وجه الدلالة أن كلمة طائفة في كلام العرب تقع على الواحد والجماعة فلو أن نفر واحد تفقه في الدين ثم رجع وأخبر قومه وعلمهم كان عليهم أن يقبلو قوله فدل ذلك على أن خبر الواحد حجة.

(٤)روى البخاري في صحيحه قال :حَدَّثَنَا عُبَيْدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ ، عَنْ أَبِي أُسَامَةَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ ، عَنْ نَافِعٍ ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، وَالْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدٍ ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ بِلَالًا كَانَ يُؤَذِّنُ بِلَيْلٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُؤَذِّنُ حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ)وهذا الحديث وجدت له عند البخاري ومسلم وأحمد خمس طرق عن عائشة أو عبد الله بنفس المعنى .وهذا الحديث يدل على حجية خبر الواحد وليس هو من الآحاد بل هو مستفيض إلى عائشة وعبد الله إبن عمر رضي الله عنهم فالنبي صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين أن يأكلو ويشربو حتى يؤذن عبد الله إبن مكتوم فعبادة الصلاة من أجل العبادات وعبدالله من مكتوم فرد واحد يمتنع المسلمين بأذانه عن الأكل والشرب ويعلمون دخول وقت الصلاة منه ولم نعلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أمر المسلمين بالتحقق بعد أذانه وعبد الله ابن مكتوم كان أعمى جاء في بعض الروايات عند البخاري أنه كان لا يؤذن حتى يقال له. أصبحت أصبحت.

(٥)روى البخاري في صحيحه حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحِيمِ أَبُو يَحْيَى ، أَخْبَرَنَا عَفَّانُ ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ ، حَدَّثَنَا ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : كُنْتُ سَاقِيَ الْقَوْمِ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ، وَكَانَ خَمْرُهُمْ يَوْمَئِذٍ الْفَضِيخَ ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُنَادِيًا يُنَادِي : أَلَا إِنَّ الْخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ. قَالَ : فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : اخْرُجْ فَأَهْرِقْهَا. فَخَرَجْتُ فَهَرَقْتُهَا، فَجَرَتْ فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ : قَدْ قُتِلَ قَوْمٌ وَهِيَ فِي بُطُونِهِمْ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ : { لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا }. الْآيَةَ.وهذا الحديث له أربع طرق بأسانيد مختلفة عند البخاري ومسلم وأحمد وغيرهم عن أنس بنفس المعنى إلى قوله فأهرقها .وهذا الأثر يدل على أن سيدنا أبو طلحة أمر سيدنا أنس رضي الله عنهم بإهراق الخمر ولم يعترض أحد منهم على هذا مع أن المخبر واحد فما قالو نتأكد وإنما إمتثلو على الفور وأسانيد هذا الحديث والذي قبله مستفيضة إلى الصحابة رضي الله عنهم

وهناك أدلة آخرى ذكرها بعض أهل العلم ولكنها محتملة الدلالة أو أخبار آحاد منها الغريب أو العزيز ولا يصح إثبات حجية خبر الآحاد بنفس خبر الآحاد الذي ينكره من لا يحتج به وما ذكرناه من الأدلة فيه كفاية على أن خبر الواحد العدل حجة والله الموفق.

(٤٦)باب الإيمان بأن.

(الملائكة معصومون من المعاصي)

فالملائكة خلق من خلق الله خلقهم الله عز وجل وجعلهم مطهرين يعبدون الله عز وجل ولا يعصونه.يسبحونه بالليل والنهار ولا يفترون

(١)قال تعالى في شأنهم (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ) الأنبياء/ ٢٠ .

(٢)قال تعالى (بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ۝ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ۝ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ) [الأنبياء:٢٦-٢٩] فقد بين الله أن الملائكة عباد مكرمون يأتمرون بأمر الله يخافون ربهم يسبحون الليل والنهار ولا يفترون عن ذكره سبحانه.وليس في قوله تعالى "ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين"دليل على عدم عصمت الملائكة وأن منهم من يقول أني إله إنما هو تهديد ووعيد وهو يجري على البر والفاجر.

(٣)قال الله تعالى: {وَلِلَّهِ يَسْجُدُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ مِنْ دابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ * يَخافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ} أالنحل: ٤٩ – ٥٠]. فالملائكة خلق مطهرون يخافون الله عز وجل وهم بأمره يعملون وقد ذكر ربنا ملائكة النار وبين أنهم غلاظ شداد لايعصونه سبحانه

(٤)قال تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦)} [التحريم: ٦].

(٥)روى البخاري في صحيحه عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِجِبْرِيلَ : " أَلَا تَزُورُنَا أَكْثَرَ مِمَّا تَزُورُنَا ". قَالَ : فَنَزَلَتْ : { وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا } الْآيَةَ.فالنبي صلى الله عليه وسلم أراد من سيدنا جبريل عليه السلام أن يكثر من زيارته فنزلت الآية في سورة مريم تبين أن النزول لا يكون إلا بأمر الله. فالملائكة خلق من خلق الله أصطفاهم وطهرهم فلا يعصونه ويفعلون ما أمر به سبحانه ولهم إرادة وقدرة تسير وفقا لإرادة الله تبارك وتعالى

ذكر صاحب كتاب "عالم الملائكة الأبرار"نقل السيوطي عن القاضي عياض: أن المسلمين أجمعوا على أن الملائكة مؤمنون فضلاء، واتفق أئمة المسلمين أن حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه، وأنهم في حقوق الأنبياء والتبليغ إليهم كالأنبياء مع الأمم.وإختلفوا هل كل الملائكة معصومون أم أن المعصومون منهم هم الرسل والمقربين فقط والراجح والله أعلم أن الملائكة كلهم معصومون من المعاصي وقد إحتج من قال أنه ليس كل الملائكة معصومون بقصة هاروت وماروت فقيل أنهم كانو ملاكين أذنبو وعصو الله وعلمو الناس السحر وهذا القول ضعيف فاهاروت وماروت إن كانو ملاكين من جنس الملائكة فلا يدل تعليمهم للناس السحر أنهم عاصين فالعل الله عز وجل أراد إختبار خلقه فأنزل السحر والملاكين يفعلون ما أمرو به فيعلمون من أراد أن يتعلم منهم ويقولون له محذرين إنما نحن فتنة فلا تكفر هذا إن صح كونهم ملاكين من جنس الملائكة وقد إتخلف أهل العلم فيهم هل هما ملاكين من جنس الملائكة أم أنهم ملاكين من جنس بني آدم والدليل إذا تطرق إليه الإحتمال سقط به الإستدلال يعني لا يمكن الجزم به لكونه يحتمل وجه الدليل وعدمه. ويحتج أيضا على عدم عصمة جميع الملائكة بأن إبليس كان من جنس الملائكة فعصى أمر ربه ودليل ذلك الإستثناء الذي ذكره الله.

(٦)قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا (٥٠) الكهف }قال بعض أهل التفسير أن إبليس كان من قبيل من الملائكة يقال لهم الجن وقيل أنه أبو الجن والدليل أن الله ذكره مع الملائكة ثم إستثناه فقال"إلا إبليس "ولو كان إبليس ليس منهم ما كان للإستثناء معنى.ويجاب عن هذا أن كثير من أهل العلم يقولون أن إبليس ليس من جنس الملائكة وإنما ذكر مع الملائكة وإستثناه الله منهم لأن كل الملائكة الحاضرين سجدو إلا هو فصح إستثنائه لكونه والوحيد الذي أبى واستكبر ويدل

على هذا قول الله في نفس الآية "كان من الجن ففسق عن أمر ربه" قال بعض أهل العلم أن الفاء هنا تعليلية يعني العلة من عدم سجوده كونه من الجن ولذلك فسق عن أمر ربه.والذي يبين أكثر أن الجن ليسو من الملائكة الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه

(٧)عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ) فالملائكة خلقت من نور والجن خلق من نار وهذا يبين أن كلا الجنسين مختلفين .فالراجح والله أعلم أن جميع الملائكة معصومون من المعاصي والله الموفق.

(٤٧)باب الإيمان بأن.

(الأنبياء معصومون في تبليغ رسالتهم)

فالأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام معصومون فيما بلغوه عن الله عز وجل فلم يخطئو ولم يهموا بل بلغو دين الله كما أمر الله عز وجل.ولا نعلم خلافا بين علماء الإسلام في هذا ولكنهم إختلفو هل الأنبياء معصمون من الذنوب صغيرها وكبيرها أم أنهم معصومون عن الكبائر فقط قال فريق من أهل العلم أنهم معصومون من كل الذنوب صغيرها وكبيرها وهو قول إبن حزم رحمه الله ونسب ذلك القول لأكثر أهل السنة وغيرهم قال في كتابه "الفصل في الملل والأهواء والنحل "باب هَل تعصى الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم الصَّلَاة وَالسَّلَام

"قال وَذَهَب جَمِيع أهل الْإِسْلَام من أهل السّنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعة إِلَى أَنه لَا يجوز الْبَتَّةَ أَن يَقع من نَبِي أصلا مَعْصِيّة بعمد لَا صَغِيرَة وَلَا كَبِيرَة وَهُوَ قَول ابْن مُجَاهِد الْأَشْعَرِيّ شيخ ابْن فورك والباقلاني الْمَذْكُورين قَالَ أَبُو مُحَمَّد.يعني نفسه. وَهَذَا القَوْل الَّذِي ندين الله تَعَالَى بِهِ وَلَا يحل لأحد أَن يدين بسواه ونقول أَنه يَقع من الْأَنْبِيَاء السَّهْو عَن غير قصد وَيَقَع مِنْهُم أَيْضا قصد الشَّيْء يُرِيدُونَ بِهِ وَجه الله تَعَالَى والتقرب مِنْهُ فيوافق خلاف مُرَاد الله تَعَالَى إِلَّا أَنه تَعَالَى لَا يقرهم على شَيْء من هذَيْن الْوَجْهَيْنِ أصلا بل ينبههم على ذَلِك وَلَا يداثر وُقُوعه مِنْهُم وَيظْهر عز وَجل ذَلِك لِعِبَادِهِ وَيبين لَهُم كَمَا فعل نبيه صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي سَلامَه من إثنتين وقيامه من اثْنَتَيْنِ وَرُبمَا عَاتَبَهُمْ على ذَلِك بالْكَلَام كَمَا فعل نبيه

عَلَيْهِ السَّلَام فِي أَمر زَيْنَب أم الْمُؤمنِينَ وَطَلَاق زيد لَهَا رَضِي الله عَنْهُمَا "وقال فريق آخر من أهل العلم أن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر وهذا القول نسبه إبن تيمية إلى أكثر أهل العلم

قال شيخ الإسلام إبن تيمية في "مجموع الفتاوى "الْقَوْلَ بِأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ عَنْ الْكَبَائِرِ دُونَ الصَّغَائِرِ هُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ عُلَمَاءِ الْإِسْلَامِ وَجَمِيعِ الطَّوَائِفِ حَتَّى إنَّهُ قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْكَلَامِ كَمَا ذَكَرَ " أَبُو الْحَسَنِ الآمدي " أَنَّ هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ الْأَشْعَرِيَّةِ وَهُوَ أَيْضًا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفُقَهَاءِ بَلْ هُوَ لَمْ يَنْقُلْ عَنْ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ وَالصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ إلَّا مَا يُوَافِقُ هَذَا الْقَوْلَ وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُمْ مَا يُوَافِقُ الْقَوْلَ"يعني العصمة المطلقة للأنبياء" وَإِنَّمَا نُقِلَ ذَلِكَ الْقَوْلَ فِي الْعَصْرِ الْمُتَقَدِّمِ عَنْ الرَّافِضَةِ ثُمَّ عَنْ بَعْضِ الْمُعْتَزِلَةِ ثُمَّ وَافَقَهُمْ عَلَيْهِ طَائِفَةٌ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ. وَعَامَّةُ مَا يُنْقَلُ عَنْ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُمْ غَيْرُ مَعْصُومِينَ عَنْ الْإِقْرَارِ عَلَى الصَّغَائِرِ "

فالأنبياء عليهم جميعا الصلاة والسلام معصومون فيما بلغوه عن الله عز وجل فلا يخطئون ولا يسهون وهذا لا خلاف عليه إنما وقول الخلاف بينهم هل هم معصومون من الصغائر والكبائر أم من الكبائر فقط .أما أدلة من قال أن الأنبياء معصومون من الكبائر فقط وتقع منهم الصغائر فهي كالأتي:

(١) قال تعالى {فَأَكَلا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى (١٢١)(طه)وجه الدلالة أن آدم عليه السلام عصى ربه وأكل من الشجرة التي نهاه الله عنها وهو أحد الأنبياء وأبو البشر فدل ذلك على أن الأنبياء تقع منهم الصغائر.

(٢)قال تعالى: {وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧)الأنبياء }وجه الدلالة أن سيدنا يونس عليه السلام ذهب مغاضبا لربه وظن أن لن يقدر عليه ربه فركب السفينة فالتقمه الحوت وقد نجانه الله برحمة منه لكونه من المسبحين كما بين ربنا ذلك في سورة الصافات وهو من الأنبياء .وقد وقع في المعصية.

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (لَمْ يَكْذِبْ إِبْرَاهِيمُ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ إِلَّا ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ ؛ ثِنْتَيْنِ فِي ذَاتِ اللَّهِ ؛ قَوْلُهُ : { إِنِّي سَقِيمٌ }، وَقَوْلُهُ : { بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا }. وَوَاحِدَةٌ فِي شَأْنِ سَارَةَ ؛ فَإِنَّهُ قَدِمَ أَرْضَ جَبَّارٍ

وَمَعَهُ سَارَةُ، وَكَانَتْ أَحْسَنَ النَّاسِ، فَقَالَ لَهَا : إِنَّ هَذَا الْجَبَّارَ إِنْ يَعْلَمْ أَنَّكِ امْرَأَتِي يَغْلِبْنِي عَلَيْكِ، فَإِنْ سَأَلَكِ فَأَخْبِرِيهِ أَنَّكِ أُخْتِي، فَإِنَّكِ أُخْتِي فِي الْإِسْلَامِ ؛ فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ مُسْلِمًا غَيْرِي وَغَيْرَكِ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْضَهُ رَآهَا بَعْضُ أَهْلِ الْجَبَّارِ أَتَاهُ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ قَدِمَ أَرْضَكَ امْرَأَةٌ لَا يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكُونَ إِلَّا لَكَ. فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَأُتِيَ بِهَا، فَقَامَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ لَمْ يَتَمَالَكْ أَنْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَيْهَا، فَقُبِضَتْ يَدُهُ قَبْضَةً شَدِيدَةً، فَقَالَ لَهَا : ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، وَلَا أَضُرُّكِ. فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَةِ الْأُولَى، فَقَالَ لَهَا مِثْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلَتْ، فَعَادَ، فَقُبِضَتْ أَشَدَّ مِنَ الْقَبْضَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ، فَقَالَ : ادْعِي اللَّهَ أَنْ يُطْلِقَ يَدِي، فَلَكِ اللَّهَ أَنْ لَا أَضُرَّكِ. فَفَعَلَتْ وَأُطْلِقَتْ يَدُهُ، وَدَعَا الَّذِي جَاءَ بِهَا، فَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ إِنَّمَا أَتَيْتَنِي بِشَيْطَانٍ، وَلَمْ تَأْتِنِي بِإِنْسَانٍ، فَأَخْرِجْهَا مِنْ أَرْضِي، وَأَعْطِهَا هَاجَرَ. قَالَ : فَأَقْبَلَتْ تَمْشِي، فَلَمَّا رَآهَا إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ انْصَرَفَ، فَقَالَ لَهَا : مَهْيَمْ ؟ قَالَتْ : خَيْرًا، كَفَّ اللَّهُ يَدَ الْفَاجِرِ، وَأَخْدَمَ خَادِمًا ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : فَتِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ)رواه مسلم وجه الدلالة أن سيدنا إبراهيم عليه السلام كذب ثلاث كذبات و هذا الكذب مذموم ولذلك يذكرهم يوم القيامة ويأبى أن يشفع ولو لم تكن هذه خطايا إرتكبها عليه السلام فما المقصود من

(٤)قوله تعالى حاكيا عن إبراهيم (وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ(٨٢)الصفات }وأيضا ما جاء في قصة يوسف عليه السلام يدل على عدم عصمة الأنبياء من الصغائر

(٥)قال تعالى {وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤)يوسف }

وجه الدلالة أن يوسف عليه السلام هم ليواقع إمرأة العزيز ولو كان الأنبياء معصومون من الذنوب صغيرها وكبيرها لما هم يوسف أصلا.وجاء أيضا في شأن موسى عليه السلام ما يؤيد ماقولنا

(٦)قال تعالى {وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلا تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاءَ وَلا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) الأعراف} وجه الدلالةأن موسى عليه السلام أخذ رأس أخيه هارون وجره وهذا ذنب وهارون عليه السلام نبي مثله ولم يكن بيده شيء مما فعله بني إسرائيل فاموسى عليه السلام كان يغضب وبسبب غضبه هذا قتل رجل.

(٧) قال تعالى: {وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ (١٥) القصص }فلو كان موسى عليه السلام معصوم من الصغائر لتحكم في غضبه وما وكز الرجل بل إكتفى بفض التعارك ولكن أخذته الحمية للرجل الذي كان من شيعته فوكز الآخر فقتله وبعدها علم أن غضبه ذلك الذي تسبب في قتل الرجل بسبب الشيطان.

فهذه جملة من أدلة من قالو أن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر وقد أطال إبن حزم في ذكر هذه الأدلة ورد عليها من وجوه فيقال أن ما صدر عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من معاصي وذلات لم تكن منهم عن عمد بل عن خطأ فلما عصى آدم ربه وأكل من الشجر لم يكن يريد معصية الله ولكن أراد الخلود الذي وعده الشيطان إياه ولعله ظن أن نهي الله له عن الأكل من الشجرة ليس نهي إلزام وجزم بل نهي كراهة وليس نهي تحريم فأخطأ ووقع في المعصية

وأما ما فعله يونس عليه السلام وأنه ذهب مغاضبا فاليس في الآية أنه ذهب مغاضبا لربه عز وجل وإنما المقصود مغاضبا لقومه ومعنى قوله"فظن أن لن نقدر عليه "فمعناه فظن أن لن نضيق عليه فلا يصح البتة أن يقال في حق نبي أنه شك في قدرة الله عليه فمن شك في قدرة الله كفر فكيف يقال ذلك في حق نبي فعلمنا يقينا أن المقصود فظن أن لن نضيق عليه ونلزمه بالقعود مع القوم العاصين له . وأما الثلاث كذبات التي كذبها إبراهيم عليه السلام فاليسو من الكذب المذموم بل هو من معاريض الكذب فقوله عن سارة أخته فهي أخته في الدين وأما قوله بل فعله كبيرهم فهذا توبيخ لهم لكونهم يعبدون من لا يسمع ولا يرى فأراد أن يقول لهم هذا توبيخا حتى يفكرو تفكيرا منطقيا يجعلهم يعرفون الحق ومثل ذلك قوله عن الشمس والقمر هذا ربي فهو عليه السلام لم يكن يشك في أن الشمس والقمر ليسو آلهة وإنما قال ذلك توبيخا لقومه الذين كانو يعبدون الأصنام التي أقل ضعفا من الشمس والقمر فأراد أن ينبههم أن العقل لا يقبل أن تكون الشمس أو يكون القمر ألهة من دون الله لكونهم يغيبون فالليل لا تكون فيه شمس والنهار لا يكون فيه قمر فهم يقينا ليسوا آلهة بالعقل والمنطق لكونهم يأفلون فكيف بالحجارة التي لا تسمع ولا ترى ولا تغني عن نفسها شيئا وأما قوله لقومه إني سقيم فهو لم يكن يكذب فهو في قلبه سقم من هذه الأصنام التي تعبد من دون الله فكسرها وهذا من معاريض الكذب فالثلاث كذبات التي ذكرت في الحديث ليسو من الكذب المنهي عنه وإنما هم من معاريض الكذب وإنما سمو كذبا مجازا لان فيهم إيهام السامع غير المراد

وإن صح أن إبراهيم عليه السلام سماهم كذب ويخاف من الله لكونه كذب الثلاث كذبات ولم يؤذن له فإن ذلك لرفعة منزلته فمعاريض الكذب في حق من لم يؤذن له من الأنبياء بها قد يلام عليها وهو لم يؤذن له في الثلاث كذبات وأما طلبه من ربه أن يريه كيف يحيي الموتى مع أنه مؤمن ولكن ليطمئن قلبه فاليس المقصود أنه شك في قدرة الله وأراد أن يطمئن قلبه بصدق قدرة الله على إحياء الموتى ونعوذ بالله أن نقول هذا على خليل الله فمن شك في قدرة الله كفر ومن كفر نبيا من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فهو كافر بلا شك وإنما المقصود أن سيدنا إبراهيم عليه السلام مع كونه مؤمن وعلى علم اليقين بقدرة الله أراد أن يرقى إلى درجة عين اليقين وهي درجة أعلى من علم اليقين فالعلم اليقين يكون بالإيمان بما لم يدركه العقل وبما أدركه وأما علم عين اليقين فإنما يكون بما أدركه العقل وشاهدته العين .

وأما قوله. واغفر لي خطيئتي يوم الدين .فهي بمنزلة. إن فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر. فالمقصود منها ما صدر عن خطأ أو سهو وليس فيه تعمد أما تعمد المعصية على الأنبياء فهم منزهون عنه .وهم بخلافنا فنحن إن أخطئنا لم نئاخذ على خطئناولكنهم يلامو ويوجهو من قبل الله لعلو مرتبتهم وأما هم يوسف عليه السلام فلم يعصي لأن من هم بمعصية ولم يعملها كتبت له حسنة لكونه منع نفسه عنها ومن المعلوم أن الذي هم لم يعمل هذا إن صح أن المقصود بالهم في الأية الهم بالمعصية فقد قيل أنه هم ليضربها ولم يهم ليواقعها وأما جر سيدنا موسى لأخيه ليس جر تعذيب وإنما أخذ برأسه ليعي ما يقول له ولو صح أنه فعل ذلك غضبا فهو من قبل الخطأ الوارد على الأنبياء وليس التعمد كما وكز رجل فقتله ومن المعلوم أنه لم يتعمد قتله إنما دفعه ليبعده عن الآخر فمات من دفعته.

وقد إستدل إبن حزم على عصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر بأدلة نذكر منها ما يلي.

(٨) قال الله تبارك وتعالى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} [آل عمران: ١٦١]

(٩)قَالَ تَعَالَى {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ} [آل عِمْرَانَ: ٧٩] فَوَجَدنَا الله تَعَالَى وَهُوَ أصدق الْقَائِلين قد نفى عَن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام الْغلُول وَالْكفْر والتجبر وَلَا خلاف بَين أحد من الْأمة فِي أَن حكم الْغلُول كَحكم سَائِر الذُّنُوب قد صَحَّ الْإِجْمَاع بذلك وَأَن من جوز على الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام شَيْئا من تعمدا

لذنوب جوز عَلَيْهِم الْغلُول وَمن نفى عَنْهُم الْغلُول نفى عَنْهُم سَائِر الذُّنُوب وَقد صَحَّ نفي الْغلُول عَنْهُم بِكَلَام الله تَعَالَى فَوَجَبَ انْتِفَاء تعمد الذُّنُوب عَنْهُم بِصِحَّة الْإِجْمَاع .

(١٠)عَنْ سَعْدٍ قَالَ : لَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ اخْتَبَأَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ عِنْدَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَجَاءَ بِهِ حَتَّى أَوْقَفَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَايِعْ عَبْدَ اللَّهِ. فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَنَظَرَ إِلَيْهِ ثَلَاثًا، كُلَّ ذَلِكَ يَأْبَى، فَبَايَعَهُ بَعْدَ ثَلَاثٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ : " أَمَا كَانَ فِيكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ يَقُومُ إِلَى هَذَا حَيْثُ رَآنِي كَفَفْتُ يَدِي عَنْ بَيْعَتِهِ فَيَقْتُلَهُ ؟ " فَقَالُوا : مَا نَدْرِي يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا فِي نَفْسِكَ، أَلَّا أَوْمَأْتَ إِلَيْنَا بِعَيْنِكَ ؟ قَالَ : " إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ أَنْ تَكُونَ لَهُ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ)رواه أبو داوود وفي سنده ضعف فهذا الحديث لا يعرف إلا من طريق السدى وهو مختلف فيه فقد ضعفه غير واحد ولا باس به في المتابعة.ووجه الدلالة من الحديث أن الأنبياء لا يصح منهم خائنة الأعين وهي من خوارم المروئة فكيف يقال أنهم يقعوا في بعض الذنوب متعمدين

قال إبن حزم وَأَيْضًا فإننا مندوبون إِلَى الإقتداء بالأنبياء عَلَيْهِم السَّلَام وَإِلَى الإيتساء بهم فِي أفعالهم كلهَا

(١١)قَالَ الله تَعَالَى {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} (الأحزاب:٢١)

(١٢)قَالَ تَعَالَى {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ} (الْأَنْعَام ٩٠)فصح يَقِينا أَنه لَو جَازَ أَن يَقع من أحد من الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام ذَنْب تعمدا صَغِيرا أوكبيراً كَانَ الله عز وَجل قد حضنا على الْمعاصِي وندبنا إِلَى الذُّنُوب وَهَذَا كفر مُجَرّد مِمَّن أجَازه فقد صَحَّ يَقِينا أن جَمِيع أَفعَال الْأَنْبِيَاء الَّتِي يقصدونها خير وَحقّ.

فَإِن قَالَ قَائِل أَنكُمْ تَقولُونَ أَن الْأَنْبِيَاء عَلَيْهِم السَّلَام مؤاخذون بِمَا أَتَوا على سَبِيل السَّهْو وَالْقَصْد إِلَى الْخَيْر إِذا لم يُوَافق مُرَاد الله تَعَالَى فَهَلا أَخذ رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم سَهْوه فِي الصَّلَاة قُلْنَا لَهُ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيق قد غفر الله لَهُ مَا تقدم من ذَنبه وَمَا تَأَخّر وَهَذِه فَضِيلَة مِمَّا فضل بِهِ على جَمِيع النَّبِيين عَلَيْهِم السَّلَام وَهَكَذَا نَص عَلَيْهِ الصلاة السَّلَام فِي حَدِيث الشَّفَاعَة يَوْم الْقِيَامَة ومصير النَّاس من نَبِي إِلَى نَبِي فَكل ذكر خَطِيئَة أَو سكت فَلَمَّا ذكرُوا النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم قَالَ قَائِلهمْ عبد غفر الله لَهُ مَا تقدم من ذَنبه وَمَا تَأَخّر فَبَطل أَن يُؤَاخذ بِمَا غفره الله وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيق.

(١٣)عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ : أَتَى رَجُلٌ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْجِعْرَانَةِ مُنْصَرَفَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، وَفِي ثَوْبِ بِلَالٍ فِضَّةٌ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْبِضُ مِنْهَا، يُعْطِي النَّاسَ، فَقَالَ : يَا مُحَمَّدُ، اعْدِلْ، قَالَ : (وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ ؟ لَقَدْ خِبْتُ وَخَسِرْتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ أَعْدِلُ ". فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : دَعْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَقْتُلَ هَذَا الْمُنَافِقَ، فَقَالَ : " مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَتَحَدَّثَ النَّاسُ ؛ أَنِّي أَقْتُلُ أَصْحَابِي، إِنَّ هَذَا وَأَصْحَابَهُ يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنْهُ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ)رواه مسلم فالنبي صلى الله عليه وسلم أنكر على الرجل لما قال له إعدل وقال له ويلك ومن يعدل إذ لم أكن أعدل فصح يقينا أن الأنبياء عليهم الصلاة السلام معصومون من الذنوب كلها صغيرها وكبيرها

(١٤) عن عَليّ بن أبي طَالب قَالَ سَمِعت رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يَقُول(مَا هَمَمْت بقبيح مِمَّا كَانَ أهل الْجَاهِلِيَّة يهمون بِهِ إِلَّا مرَّتَيْنِ من الدَّهْر كلتاهما يعصمني الله مِنْهَا قلت لفتى كَانَ معي من قُرَيْش بِأَعْلَى مَكَّة فِي أَغْنَام لَهَا ترعى أبْصر لي غنمي حَتَّى أسمر هَذِه اللَّيْلَة بِمَكَّة كَمَا يسمر الفتيان قَالَ نعم فَلَمَّا خرجت فَجئْت أدني دَار من دور مَكَّة سَمِعت غناء وَصَوت دفوف وزمير فَقلت مَا هَذَا قَالُوا فلَان تزوج فُلَانَة لرجل من قُرَيْش فلهوت بذلك الْغناء وَبِذَلِك الصَّوْت حَتَّى غلبتني عَيْني فَمَا أيقظني ألامس الشَّمْس فَرَجَعت إِلَى صاحبى فَقَالَ لي مَا فعلت فَأَخْبَرته ثمَّ قلت لَهُ لَيْلَة أُخْرَى مثل ذَلِك فَفعل فَخرجت فَسمِعت مثل ذَلِك فَقيل لي مثل مَا قيل لي فلهوت بِمَا سَمِعت حَتَّى غلبتني عَيْني فَمَا أيقظني إِلَّا مس الشَّمْس فَرَجَعت إِلَى صَاحِبي فَقَالَ لي مَا فعلت قلت مَا فعلت شَيْئا فوَالله مَا هَمَمْت بعْدهَا بِسوء مِمَّا يعْمل أهل الْجَاهِلِيَّة حَتَّى أكرمني الله بنبوته)

رواه ابن حزم في الفصل في الملل والأهواء والنحل . وفي سنده ضعف . قال ابن حزم فصح أَنه عَلَيْهِ السَّلَام لم يعْص قطّ بكبيرة وَلَا بصغيرة لَا قبل النُّبُوَّة وَلَا بعْدهَا وَلَا هم قطّ بِمَعْصِيَة صغرت أَو كَبرت لَا قبل النُّبُوَّة وَلَا بعْدهَا إِلَّا مرَّتَيْنِ بالسمر حَيْثُ رُبمَا كَانَ بعض مَا لم يكن نهى عَنهُ بعد والهم حِينَئِذٍ بالسمر لَيْسَ هما بزنا وَلكنه بِمَا يحذو إِلَيْهِ طبع الْبَرِيَّة من اسْتِحْسَان منظر حسن فَقَط.

(٤٨)باب الإيمان بأن

(الإنسان مخير وليس مسير في فعل الحسنات والسيئات)

فاله عز وجل جعل الإنسان مخير في فعل الخير والشر والحسنات والسيئات وكل شيء يحدث في ملك الله يكون مقدر ومكتوب وليس معنى أنه مكتوب أن الإنسان مجبر عليه فمن تمام عدله سبحانه أنه بين طريق الخير للعبد وبين له طريق الشر

(١) قال تعالى {وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ} [البلد: ١٠]قيل النجدين طريق الخير وطريق الشر

(٢)قال تعالى: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)} [الإنسان]. فاله عز وجل بين الطريق الحق فمن شاء إتبعه ومن شاء تركه فلا يصح البتة أن يعمل العبد السيئة ويقول هو مقدر و مكتوب علي أن أكون فاسد متكوب علي أن أكون كافر مكتوب علي أن أكون مضيع للصلاوات.فاليس هذا مبرر نعم كل شيء في الكون مقدر ومكتوب ولكن ليس معنى أنه مكتوب ومقدر أن الله يرغم العبد على فعله فهو سبحانه منزه عن الظلم حرمه على نفسه وحرمه على عباده ولو كان العبد مجبر على فعل الشر ماصح أن يدخله الله النار ولا أن يحاسبه عليه لأنه مجبر ولكن الحقيقة التي يلتبس على بعض الناس فهمها أنه ليس معنى مقدر ومكتوب أن العبد مجبر عليه ولكن الله عليم بما خلق فهو يعلم من من عباده سيطيعه ومن سيعصيه من سيكون من أهل الجنة ومن سيكون من أهل النار.

(٣)قال تعالى {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} [الملك: ١٤] فهو سبحانه علمه وسع كل شيء وهو يعلم قبل نشأة العبد في رحم أمه هل هو من أهل الجنة أم من اهل النار

(٤) روى الإمام مالك في الموطأ بسند صحيح

أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ سُئِلَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ { وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ }، فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْأَلُ عَنْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ بِيَمِينِهِ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلْجَنَّةِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَعْمَلُونَ، ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرَهُ فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ ذُرِّيَّةً، فَقَالَ : خَلَقْتُ هَؤُلَاءِ لِلنَّارِ، وَبِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ يَعْمَلُونَ ". فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَفِيمَ الْعَمَلُ ؟ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ إِذَا خَلَقَ الْعَبْدَ لِلْجَنَّةِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ الْجَنَّةَ. وَإِذَا خَلَقَ

الْعَبْدَ لِلنَّارِ، اسْتَعْمَلَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى يَمُوتَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ النَّارِ، فَيُدْخِلَهُ بِهِ النَّارَ)فالله سبحانه وتعالى مسح ظهر آدم عليه السلام بالكيفية التي يعلمها سبحانه من غير تشبيه ولا تمثيل ثم إستخرج ذرية من آدم وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون وإسخترج من ظهر آدم ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فهو سبحانه عليم بكل شيء وكتب كل شيء وقدره وليس معنى أنه خلق خلق للجنة وخلق للنار أنه أجبر هؤلاء على عمل أهل الجنة وهؤلاء على عمل أهل النار وإنما هو سبحانه يعلم بعلمه الأزلي من هو من أهل الجنة ومن هو من أهل النار ومعاذالله أن يقال أن الله يجبر أحد على عمل ثم يحاسبه عليه فلا يصح أن ينسب هذا لله البتة لأنه منزه عن كل نقص وعيب وهو لا يظلم مثقال ذرة .

(٥)روى البخاري في صحيحه عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ : كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ ، فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ : " مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الْجَنَّةِ، وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً ". فَقَالَ رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلَا نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ، فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا مَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ؟ قَالَ : " أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشَّقَاوَةِ ". ثُمَّ قَرَأَ : " { فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى } ". الْآيَةَ فالله عز وجل سبحانه عليم بكل شيء ولا يخفى عليه شيء فما من نفس منفوسة إلا وهو يعلم إن كانت من أهل الجنة أو من أهل النار وهل هي شقية أم سعيدة فقال رجل أفلا نتكل على كتابنا فبين صلى الله عليه وسلم أن أهل الجنة سيوفقون لعمل أهل الجنة وأهل النار سيوفقون لعمل أهل النار وليس معنى ذلك أن الله يرغم أحد على عمل ولكن كل شيء لا يخرج عن إرادته سبحانه ومشيئته فالعبد له إرادة تسير وفقا لإرادة الله فمن عمل خيرا لم يعمله إلا بمشيئة الله وتوفيقه ومن عمل شرا وشاء فعله كان ذلك بإرادة الله وتقديره لا يخرج عنها وهو مع ذلك لم يجبره على فعل الشر فالإنسان مخير في فعل الخير والشر وليس مجبر

(٦)قال تعالى {فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}

[الكهف: ٢٩]

(٧)قال تعالى {لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ (٢٨) وَمَا تَشَاءُونَ إلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ (٢٩)} [التكوير]

فالعبد له قدرة ومشيئة لا تخرج عن قدرة الله ومشيئته فلا يحدث شيء في ملك الله إلا بإرادة الله وقد أعطى العبد الحرية الكاملة في فعل الخير أو الشر وبين له الحق من الضلال حتى لا يكون لأحد حجة بعد نزول الكتب وإرسال الرسل وتبين الحق من الباطل ولو شاء سبحانه لأمن كل من في الارض

(٨)قال تعالى (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ)

[يونس:٩٩]

(٩)قال تعالى(وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا) الآية،

[السجدة: ١٣] فلو شاء سبحانه لهدى الناس جميعا ولكن بحكمته وإرادته ليحق قوله سبحانه بملئ جهنم من الجنة والناس أجمعين.

وهو سبحانه العدل الذي لم يظلم مثقال ذرة ومن تمام عدله أنه جعل الإنسان مخير في فعل الخير والشر بل من عدله سبحانه أنه تجاوز عن التلفظ بالكفر والكفر أكبر الكبائر ولكن تجاوز عن من تلفظ به وهو مكره ومجبر

(١٠) قال تعالى {إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللهِ}(النحل ١٠٦)

فإذا كان سبحانه تجوز عن من أكره وتلفظ بالكفر فكيف يصح منه وهو العدل أن يجبر أحد على فعل الشر ثم يحاسبه عليه.

نسأل الله لنا ولكم التوفيق والسداد.

(٤٩)باب الإيمان بأن.

(الإنسان مسير في الرزق والأجل والصحة والمرض وليس مخير)

فالإنسان مسير في الرزق فاليس بيده أن يكون غني ولا أن يكون صاحب منصب ولا بيده أن تكون زوجته حسنة وصالحة تقية وهو لم يختار والده ولا ولده ولا أمه ولا ورثه فمن الناس من يولد بين أبوين أغنياء فيرث مال كثير ومن الناس من يولد بين أبوين فقراء وقد لا يجد مال يرثه فالإنسان في أمور الرزق مسير وهذه حكمة الله وإرادته في خلقه فهو سبحانه جعل العبد مخير في فعل الخير والشر والحسنات والسيئات لتقوم حجته على من عصى وتعم رحمته على من أطاع وتقرب وأما أمور الرزق فهذه ليست بإختيار العبد فمقادير الخلق مكتوبة في اللوح المحفوظ قبل أن تخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة

(١)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : (كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ : وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ)رواه مسلم.

(٢)قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ، قَالَ : (إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ : اكْتُبْ عَمَلَهُ وَرِزْقَهُ وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ، فَإِنَّ الرَّجُلَ مِنْكُمْ لَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ كِتَابُهُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، وَيَعْمَلُ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ)رواه البخاري.

فالعبد يكتب له رزقه وأجله وشقي أو سعيد وهو في بطن أمه فكثير من الناس يتعب حتى يجمع المال فلا يستطيع ولا يوفق وقد يظل العبد سنين يشتهي إمرأة يتزوجها وفي النهاية تتزوج غيره ومنهم من يوفقه الله ويعطى ما أراد ومنهم من يتعب ويجد وبعدما يجمع المال الذي أراد يأتيه المرض فلا يهنئ بما جمع أو يأتيه الموت فكل هذا ليس للعبد فيه يد وما عليه إلا أن يأخذ بالأسباب وما تكتمل الدنيا لأحد فقد تظن أن المال سبب السعادة وكثير من أصحاب الأموال فيهم الأمراض ونفسياتهم أسوء من الذين يسألون الناس على الأبواب قد تظن أن الزوجة الجميلة يكون فيها المتاع وكثير من الناس عنده زوجة جميلة ويتحسر على اليوم الذي تزوجها فيه ويتمنى لو تزوج دميمة الشكل وأراحته ومن الناس من ظل زمان يبحث عن زوجة صالحة وفي نهاية المطاف روزق بزوجة نكدت عليه أيامه فلا تظن أن أحد في الدنيا كمل له متاعها القليل ومن حكمة الله أن جعل الإنسان في مشقة وتعب

(٣) قال تعالى (لَقَدْ خَلَقْنَا الإنْسَانَ فِي كَبَدٍ)

(آية ٤ :البلد)قيل الكبد المشقة والتعب والدنيا دار إبتلاء فمن الناس من عندهم المال والزوجة والأولاد والصحة ثم تجده يبكي بكاء مريرا يكره الحياة والعيش فيها ويتمنى لو مات لأن نفسيته سيئة وهو لا يعلم ما السبب وقد تجد فقير رزقه الله الرضا وعاش سعيد وكثير من الناس لم يرضا بزوجته فقال أتزوج أخرى أجمل ثم يتزوج أخرى ويتحسر على زوجته التي كان يتمنى تغييرها في يوم من الأيام لفرق الدين والأخلاق فارزق إبن آدم في الدنيا وسعادته وحزنه وحياته وموته كل ذلك ليس بيده ولا يملك منه شيئ ومن رحمة الله بعباده المؤمنين أن جعل كل بلاء يحدث لهم سبب في أن يكفر الله لهم من خطاياهم

(٤)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ، وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ) رواه البخاري. فلا يصيب العبد تعب ولا مرض ولا هم ولاحزن ولاغم ولا أذى إلا كفر الله به من سيئاته.

بل ومن رحمته سبحانه أنه يجازي حتى الكافر بعمله الصالح فيطعم به طعمة في الدنيا

(٥)عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، أَنَّهُ حَدَّثَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ الْكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَإِنَّ اللَّهَ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَى طَاعَتِهِ)رواه مسلم. فالله عز وجل قسم الأرزاق وقدر كل شيء وليس على العبد إلا أن يسلم ويرضى بأمر الله فكل شيء بيده فلا تحزن إن وجدت أهل الكفر والفجر في نعيم وأنت العبد الصالح في بلاء فالدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر والله عز وجل يزيده فيها وأما المؤمن فيعطى رزقه في الدنيا ويدخر له علمه في الآخرة فما عليك إلا أن ترضى بما قسم الله لك فالعل الله إبتلاك لأنه يحبك فارضى بما قسمه لك حبيبك والبلاء سنة كونية فقد وقع الأبتلاء في الأنبياء و الصالحين فقد كان يمر الهلال تلو الهلال ثلاثة أهلة والنبي صلى الله عليه وسلم ليس عنده طعام يوقد عليه نار في بيته وإنما كان طعامهم التمر والماء

(٦)عَنْ عُرْوَةَ ، عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّهَا قَالَتْ لِعُرْوَةَ ابْنَ أُخْتِي : (إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَتْ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَارٌ. فَقُلْتُ : مَا كَانَ يُعِيشُكُمْ ؟ قَالَتِ : الْأَسْوَدَانِ : التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، كَانَ لَهُمْ مَنَائِحُ ، وَكَانُوا يَمْنَحُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَبْيَاتِهِمْ فَيَسْقِينَاهُ)رواه البخاي.فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغ منه الفقر ما بلغ وكذلك ابتلي غيره من الأنبياء فقد ابتلي آدم وأخرج من الجنة بسبب معصية وابتلي نوح فمات ولده غريقا وماتت زوجته كافرة وماتت زوجة لوط وهي كافرة أيضا وابتلي إبراهيم فألقي في النار وابتلي يوسف وفارق أبيه وسجن ظلما وابتلي أبيه بفقده وابتلي موسى وخرج هاربا من أرضه وابتلي عيسى فأراد اليهود قتله

عليهم جميعا الصلاة والسلام وكذلك ابتلي الصالحين

فقد مات حماد إبن سلمة رحمه الله ولم ينجب ولد وقد قيل أنه تزوج مئة إمرأة وقد ماتت زوجة الألباني رحمه الله وتزوج بعدها أكثر من مرة ولم يوفق فقد تزوج أربعة أو خمسة وكانت آخر زوجاته إمرأة من فلسطين مات عنها وليس ذلك بعيب فيه إنما هو البلاء فقد يكون العبد صالح ويبتلى بزوجة سيئة الخلق فلا يوفق معها بل من الصالحين من عاش حياته ولم يتزوج أصلا فقد مات شيخ الإسلام ولم يتزوج وكذلك العلامة إبن جرير الطبري والإمام النووي

فالبلاء في الدنيا سنة كونية وهي إرادة الله والمؤمن في كل أحواله على خير إن أصابه الخير شكر فكان خيرا له وإن أصابه الشر صبر فكان خيرا له

(٧)عَنْ صُهَيْبٍ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ ؛ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ)رواه مسلم. نسأل الله أن يحفظنا وإياكم من البلاء صغيره وكبيره وأن يجعل عيشتنا عيشة السعداء وميتتنا ميتة الأتقياء وأن يرزقنا الرضى والسعادة وراحة البال أبدا ما أحيانا إنه الولي على ذلك والقادر عليه

(٥٠)باب الإيمان بأن

(نبينا محمد صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين)فلا نعلم خلافا بين أهل السنة أن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء والمرسلين فلا نبي بعده

(١) قال الله تعالى: (مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) [الأحزاب: ٤٠]فالله عز وجل أخبر أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو خاتم الأنبياء وهذا يقتضي أنه لا رسول ولا نبي بعده لأن الرسول هو الذي جائه الوحي من الله وكلف بالتبليغ عنه برسالة مستقلة وأما النبي فهو أعم من الرسول فيدخل فيه كل من جائه الوحي من الله سوء كلف بالتبليغ بشرع جديد وبرسالة مستقلة أم جاء متعبدا بشرع قبله ومكمل له فلما ذكر ربنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين دل ذلك على عدم إتيان رسول ولا نبي بعده.

(٢) عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (إِنَّ لِي أَسْمَاءً ؛ أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يَمْحُو اللَّهُ بِيَ الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمَيَّ ، وَأَنَا الْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ أَحَدٌ) وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ رَءُوفًا رَحِيمًا"رواه مسلم فالنبي صلى الله عليه وسلم هو العاقب الذي ليس بعده نبي

(٣)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِسِتٍّ : أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُورًا وَمَسْجِدًا، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ)رواه مسلم.

(٤) عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ ، عَنْ أَبِيهِ ، (أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ إِلَى تَبُوكَ، وَاسْتَخْلَفَ عَلِيًّا، فَقَالَ : أَتُخَلِّفُنِي فِي الصِّبْيَانِ وَالنِّسَاءِ ؟ قَالَ : " أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى ؟ إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيٌّ بَعْدِي .)رواه البخاري. فهذه الأدلة كلها تدل على أن نبينا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين وهذا قول علماء السنة قاطبة ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في ذلك والله الموفق.

(٥١)باب الإيمان

(بمعجزات الأنبياء)

فالإيمان بمعجزات الأنبياء حق لاشك فيه

فأهل السنة والجماعة يؤمنون بمعجزات الأنبياء ويصدقون بما جاء في الكتاب والسنة ولا نعلم أحد من أهل العلم قاطبة خالف في ذلك فالله عز وجل قد جعل المعجزات تبيينا لصدق رسالة النبي وبرهانا على نبوته فالمعجزة أمر خارق للعادة يجعله الله لنبي من أنبيائه عليهم جميعا الصلاة والسلام برهاناوتصديقا لما جاء به

مثل ما كان لسيدنا إبراهيم عليه السلام لما أوقد عليه الكفار نارا فلم تحرقه وأمر الله النار أن تكون بردا وسلاما عليه

(١)قال تعالى (قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ)(الأنبياء – ٦٩)

ومثل ما كان لسيدنا موسى عليه السلام

(٢)قال تعالى(فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ (٣٢) وَنزعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ (٣٣) (الشعراء) فقد جعل الله عز وجل لسيدنا موسى العصى تنقلب ثعبان ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين وأمره الله سبحانه وتعالى أن يضرب بعصاه البحر فانفلق

(٣)قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْبَحْرَ ۖ فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ (٦٣) (الشعراء)

وكما جعل الله لسيدنا عيسى عليه السلام من المعجزات أنه كان يصنع من الطين على شكل الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا بقدرة الله وكان يشفي الأكمه والأبرص ويحيي الموتى

(٤)قال تعالى{وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}

[آل عمران : ٤٩] وكما جعل الله لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم معجزة إنشقاق القمر

(٥)روى البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : (انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شِقَّتَيْنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اشْهَدُوا ".)

(٦)قال سبحانه: {اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ} [القمر:١] فمعجزات الأنبياء حق لا شك فيه ومن أنكر معجزات الأنبياء فهو مكذب لما جاء به الشرع مخالف لجماعة المسلمين وقوله باطل وما قال به أحد من علماء الإسلام قاطبة.

(٥٢)باب الإيمان

(بكرمات الأولياء)

الله عز وجل يصطفي بعض عباده الصالحين فيجعل لهم بعض الكرامات وذلك حق لا مرية فيه فقد دلت الأدلة من الكتاب والسنة على كرامات الأولياء ولكن قد إختلط على بعض الناس فهم الولاية فجعلوها ميراث يورث ويظنون أن الولي الذي مات في القبر يستطيع نفعهم أو ضرهم فيصرفون بعض العبادات لأصحاب القبور ويطلبون منهم المدد والعون والشفاء والرزق فيقعون في الشرك عياذا بالله فالعبادة لا تكون إلا لله وطلب الشفاء والرزق وغير ذلك لا يقدر عليه غير الله ولو صح أن صاحب القبر هذا ولي وكان عبدا صالح ما جاز أن تجعله وسطة بينك وبين الله بل إفعل كما فعل فالولي هو من يتقي الله ويطيعه وليس من يبتدع ويتمتم بكلام يشبه كلام السحرة ويضيع الصلاوات ويرتكب المحرمات

(١)قال تعالى { أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ، الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ، لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }(يونس ٦٤)

فكل عبد مؤمن تقي يتبع كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ولي من أولياء الله وأما من يضيع الصلاوات ويشرب السجائر أو المخدرات ويتطوح يمينا ويسارا ويقول هذا ذكر فاليس هذا ولي للرحمن إنما هو ولي للشيطان حتى وإن طار في الهواء وكان سبب في الشفاء وأخبر عما يحدث في بلد آخر أو انتقل من مكان إلى مكان آخر بسرعة لا يستطيعها البشر وإدعى أنه ولي فذلك من تلبيس إبليس على بعض الناس وما يحدث هذا يكون بواسطة الجن حتى يفتنو الناس في دينهم ويوقعوهم في الشرك والبدع فإذا وجدت الرجل يتقي الله ويطيعه ويتبع سنة النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه ولي فلا تعاديه ولا تؤذيه فإن عاديته فكأنك تحارب الله فإياك وإذاء الصالحين

(٢)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنَّ اللَّهَ قَالَ : مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ

الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ)رواه البخاري

فقد يفتح الله على ولي من أوليائه ببعض الكرامات كما حدث لأصحاب الكهف التي قد ذكر الله قصتهم في القرآن وما حدث لهم من كرامة

(٣) قال تعالى(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢) نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦) وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا (١٧) وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨) وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠) وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤) وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) (الكهف) فقد جعل الله لأصحاب الكهف كرامة لا

يستوعبها عقل فقد أنامهم الله بعدما دخلو الكهف "٣٠٩سنة "وتكفل الله لهم بالحفظ فلم تأكل الأرض أجسامهم فجعلهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال وهذه حكمة الله فلو ظلو على جنب واحد لأكلت الأرض جنوبهم وأفسدت أجسادهم ثم بعثهم من نومهم بعد هذه الفترة الكبيرة وجعلهم آية فكرامات الأولياء حق لا شك فيها والفرق بين الكرامة والمعجزة أن الكرامة خاصة بالأولياء الذين اتقوا الله واطاعوه وأما المعجزة فهي خاصة بالأنبياء تصديقا وتأييدا لرسالاتهم والكرامة والمعجزة كلاهما أمر خارق للعادة فقد يفتح الله على عبد من عباده الصالحين ببعض الأشياء كأن يرى في المنام الريا الصالحة فتتحقق أو يدعو الله فيستجيب منه حتى وإن كان الطلب عسير ويستحيل عقلا أو غير ذلك من الكرامات ومن أمثلة ذلك ما حصل للثلاثة الذين دخلو الغار فوقعت صخرة فسدت باب الغار

(٤)عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ، فَقَالُوا : إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ : اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لَا أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ. فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ ". قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَامْتَنَعَتْ مِنِّي، حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ : لَا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا ". قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " وَقَالَ الثَّالِثُ : اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الْأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ : كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ : يَا عَبْدَ اللَّهِ، لَا تَسْتَهْزِئُ بِي. فَقُلْتُ : إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ

بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا. اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ)رواه البخاري.

ومن كرامات الأولياء أيضا ما حدث لبعض الصحابة رضي الله عنهم حيث كان اثنين من الصحابة مع النبي صلى الله عليه وسلم وخرجو من عنده في ليلة شديدة الظلمة فجعل الله لهم نور بين أيديهم فلما افترقا صار النور مع كل واحد منهم حتى أتى أهله

(٥٥)عن أَنَسٌ رضي الله عنه (أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَا مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ، وَمَعَهُمَا مِثْلُ الْمِصْبَاحَيْنِ يُضِيئَانِ بَيْنَ أَيْدِيهِمَا، فَلَمَّا افْتَرَقَا صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّى أَتَى أَهْلَهُ)رواه البخاري والأمثلة على كرمات الأولياء كثيرة في كتب السنة فكرامات الأولياء حق لا شك فيه ولكن هناك فرق بين الكرامة وبين تلبيس الشيطان فإن كان العبد صالح تقي فهو ولي من أولياء الله وقد تحدث له بعض الكرمات وأما إذا كان العبد ليس بصالح ويحدث له شيء من خوارق العادات فاليست هذه كرامة إنما هو من صنع الجن كما يحدث لبعض السحرة مثل أن يرتفع في الهواء أو ينتقل من مكان إلى آخر بسرعة كبيرة أو يخبر عن شيء ضاع أو عن ما يحدث في بلد آخر ومثل هذا كثير وهو من تلبيس الشيطان على الناس حتى يفتنهم في دينهم ويوقعهم في الشرك عياذا بالله فتجد بعض الناس يذبحون لغير الله ويطلبون الشفاء والرزق من غير الله من أصحاب القبور وذلك بسبب إعتقادهم أن ما يحدث ببركة صاحب المقام والشياطين غايتهم إضلال الناس فيفعلون كل ما بوسعهم حتى يضلو الناس فيتخذون من السحرة أو بعض المسوسين خلفاء لهم ويقدمو لهم الخدمات وتحدث له أشياء من خوارق العادات ويدعون الولاية ومثل هذا كثير نسأل الله أن يثبتنا وإياكم على الحق إنه الولي على ذلك والقادر عليه.

(٥٣)باب الإيمان(بحرمة السحر وأنه من الكبائر)

فلا يحل تعلم السحر ولا تعليمه ولا العمل به في الخير أو الشر وقد ذهب كثير من العلماء إلى كفر الساحر ووجوب قتله وللشافعي فيه تفصيل وهو إن أتى بمكفر حكم بكفره وقتل وإن لم يأتي بفعل مكفر فسق ولم يقتل إلا إن قتل بسحره أحد فيقتل قصاصا .ومعلوم أن السحر من كبائر الذنوب التي تهلك صاحبها

(١)قال تعالى: (وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ)الآية، [البقرة: ١٠٢]فالسحر من أشد الكبائر وأعظمها ويؤدي إلى الكفر ويحرم تعلمه وتعليمه والعمل به في الخير أو في الشر وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من السبع المهلكات.

(٢)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ ". قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا هُنَّ ؟ قَالَ : " الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ)رواه البخاري.

(٥٤)باب الإيمان

(بحرمة الذهاب للكهنة وتصديقهم)

لا يجوز الذهاب للكهنة و الإستعانة بهم أو تصديقهم بما يقولون والكاهن هو الذي يدعي معرفة الغيب فيحدث بما لم يحدث فيكون معه من الجن من يخبره بالشيء الذي سمعه من الملائكة يتحدثون به فيخبر به الكاهن ويكون حقا ويضيف عليه مائة كذبة

(١)عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : (سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَاسٌ عَنِ الْكُهَّانِ، فَقَالَ : " لَيْسَ بِشَيْءٍ ". فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أَحْيَانًا بِشَيْءٍ فَيَكُونُ حَقًّا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تِلْكَ الْكَلِمَةُ مِنَ الْحَقِّ، يَخْطَفُهَا مِنَ الْجِنِّيِّ، فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخْلِطُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ)رواه البخاري. والكاهن والساحر كلاهما يستعين بالجن ولكن الفرق بينهم أن الكاهن يدعي معرفة الغيب أما الساحر فهو الذي يسحر الناس بالمرض أو الجلب أو التفريق بين الزوجين أو غير ذلك من أنواع السحر إلا أنه لا يدعي معرفة الغيب وفي الغالب يكون الساحر كاهن والكاهن ساحر في نفس الوقت بحيث يستعين بالجن في السحر فيسحر ويدعي معرفة الغيب وقد قيل أن الكاهن والعراف إسمان لمعنى واحد وقيل أن العراف غير الكاهن فالكاهن يدعي معرفة الغيب الذي لم يحدث بعد فهو يدعي معرفة المستقبل ومعرفة الأسرار وأما العراف فهو يعتمد على أسباب ومقدمات يتبعها ويدعي معرفة الماضي والحاضر فيخبر عن مكان المسروق أو عما

يحدث في مكان آخر أو في بلد آخر وقد حرم الإسلام الذهاب إلى الكهان والعرافين فمن ذهب لكاهن أو عراف لم تبقل منه صلاة أربعين ليلة

(٢)عَنْ صَفِيَّةَ ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ ؛ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً)رواه مسلم.

(٣) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ . وَالْحَسَنِ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ : (مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا ، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ)رواه أحمد وهذا سند ضعيف إبن خلاس لم يسمع من أبي هريرة والحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل وإبن خلاس هذا من أهل العلم من تكلم فيه وكثير من أهل العلم وثقه ولهذا الحديث متابع كما عند أحمد وغيره من طريق حَكِيمٍ الْأَثْرَمِ ، عَنْ أَبِي تَمِيمَةَ ،

(٤)عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَنْ أَتَى حَائِضًا، أَوِ امْرَأَةً فِي دُبُرِهَا، أَوْ كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ "وحكيم لينه ابن حجر ووثقه غيره . وقال عنه البخاري حكيم الأثرم بصري عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة "من أتى كاهنا"لا يتابع في حديثه ولا نعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة. فلا يجوز الذهب للكهنة أو السحرة أو العرافين فمن ذهب لكاهن أو عراف لم تقبل منه صلاة أربعين يوما ومن ذهب إليه وصدقه بما يقول وظن أنه يعلم الغيب فقد كفر إن توفرت فيه الشروط وإنتفت عنه الموانع لأنه لا يعلم الغيب إلا الله

(٥)قال تعالى (عالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا (٢٦) إِلا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا (٢٧) الجن. فالله سبحانه وحده هو الذي يعلم الغيب ولم يطلع على غيبه أحدا من خلقه إلا من ارتضى من رسول فإنه يطلعه على ما يشاء من أمور الغيب وأما السحرة والكهنة والعرافين لا يعلمون شيء من الغيب وما يقولوه من أشياء وتحدث بعد ذلك فإنه بواسطة الجن يسمع الكلمة من الملائكة فيخبر بها وليه ويزيد عليها مائة كذبة.

(٥٥)باب الإيمان

(بأن النبي صلى الله عليه وسلم سحر وكان يخيل له أنه فعل الشيء وهو لم يفعله وذلك السحر لم يؤثر عليه في تبليغ الرسالة لعصمة الله له)

فالنبي صلى الله عليه وسلم قد سحره رجل يهودي وقيل أنه كان من حي من اليهود وكان منافقا أظهر الإسلام وأبطن النفاق إسمه لبيد حتى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله ويخيل إليه أنه يأتي أهله وهو لم يأتي وذلك كان بسبب السحر فالسحر حق لا شك فيه وقد سحر نبي الله صلى الله عليه وسلم فهو بشر يصيبه المرض والنسيان وقد أثر السحر فيه ولكن الله حفظه في تبليغ الرسالة وعصمه فهو لا ينطق عن الهوى وهذا هو الحق الذي لا مرية فيه

(١)قال تعالى: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (٣) إِنْ هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) النجم}

(٢)قال تعالى {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (٦٧) (المائدة)

(٣)قال تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]

(٤)عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ : كُنْتُ أَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ أَسْمَعُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُرِيدُ حِفْظَهُ، فَنَهَتْنِي قُرَيْشٌ، وَقَالُوا : أَتَكْتُبُ كُلَّ شَيْءٍ تَسْمَعُهُ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشَرٌ يَتَكَلَّمُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا ؟ فَأَمْسَكْتُ عَنِ الْكِتَابِ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَوْمَأَ بِأُصْبُعِهِ إِلَى فِيهِ فَقَالَ : " اكْتُبْ ؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ إِلَّا حَقٌّ)رواه أبو داوود في سننه وإسناده صحيح.

فالنبي صلى الله عليه وسلم معصوم فيما بلغه عن ربه فلم يعتريه الخطأ أو النسيان في تبليغ الرسالة وهذا هو الحق الذي دلت عليه الأدلة وعليه إجماع الأمة فلا يشك في ذلك مسلم

(٥) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : مَكَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَذَا وَكَذَا، يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَأْتِي أَهْلَهُ وَلَا يَأْتِي، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقَالَ لِي ذَاتَ يَوْمٍ : " يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ أَفْتَانِي فِي أَمْرٍ اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ، أَتَانِي رَجُلَانِ ؛ فَجَلَسَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رِجْلَيَّ،

وَالْآخَرُ عِنْدَ رَأْسِي، فَقَالَ الَّذِي عِنْدَ رِجْلَيَّ لِلَّذِي عِنْدَ رَأْسِي : مَا بَالُ الرَّجُلِ ؟ قَالَ : مَطْبُوبٌ – يَعْنِي مَسْحُورًا – قَالَ : وَمَنْ طَبَّهُ ؟ قَالَ : لَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ. قَالَ : وَفِيمَ ؟ قَالَ : فِي جُفِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ، فِي مُشْطٍ وَمُشَاقَةٍ ، تَحْتَ رَعُوفَةٍ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ ". فَجَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : " هَذِهِ الْبِئْرُ الَّتِي أُرِيتُهَا، كَأَنَّ رُءُوسَ نَخْلِهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ، وَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ ". فَأَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأُخْرِجَ، قَالَتْ عَائِشَةُ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلَّا ؟ تَعْنِي تَنَشَّرْتَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ شَفَانِي، وَأَمَّا أَنَا فَأَكْرَهُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا ". قَالَتْ : وَلَبِيدُ بْنُ أَعْصَمَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي زُرَيْقٍ حَلِيفٌ لِيَهُودَ.)رواه البخاري.

(٥٦)باب الإيمان.(بأن الحسد والعين حق)

والحسد هو داء يأتي في قلب العبد يجعله يتمنى زوال النعمة التي عند غيره أو يستكثرها عليه وهو أشمل وأعم من العين فكل عين حسد وليس كل حسد عين ذلك عند التفصيل لأن الحاسد قد يحسد مالم يشاهده وأما العين فلا تأتي إلا لما شاهدته العين فقد يعجب الرجل بنفسه أو ولده أو أهله فيصيب نفسه بالعين مع أنه لا يحب أذى نفسه أو ولده أو أهله وهذا فرق واضح بين العين والحسد فالحسد هو تمني زوال النعمة من الغير بسبب غيره أو كره أو حقد وأما العين فاليس فيها تمني زوال النعمة

والحسد محرم شرعا ولا نعلم خلافا بين أهل العلم في ذلك وقد علمنا الله الإستعاذة منه

(١)قال سبحانه(قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥)"الفلق"

وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الحسد كما جاء في الحديث الصحيح

(٢)عَنْ أَنَسٍ ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ (لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا)رواه مسلم.

(٣)عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ سَبَقَتْهُ الْعَيْنُ، وَإِذَا اسْتُغْسِلْتُمْ فَاغْسِلُوا)رواه مسلم .فاليس هناك شيء يسبق القدر ولو كان شيء يسبقه لسبقته العين

وإذا طُلِب ممن أصاب أحدا بعينه أن يغتسل للمصاب ليتداوى بغُسالته فليفعل. وكيفيته أن يؤتى العائن بقدح فيه ماء فيتوضأ وضوئه للصلاة ويغمس داخلة إزاره في القدح ويؤخذ الماء الذي توضأ به وغمس فيه داخلة إزاره ثم يصب ذلك الماء المستعمل على رأس المصاب بالعين يشفى بإذن الله تعالى.

(٤)روى مالك في الموطأ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي أُمَامَةَ بْنِ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّهُ سَمِعَ أَبَاهُ يَقُولُ اغْتَسَلَ أَبِي سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ بِالْخَرَّارِ، فَنَزَعَ جُبَّةً كَانَتْ عَلَيْهِ وَعَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ يَنْظُرُ، قَالَ : وَكَانَ سَهْلٌ رَجُلًا أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِلْدِ، قَالَ : فَقَالَ لَهُ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ : مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلَا جِلْدَ عَذْرَاءَ. قَالَ : فَوُعِكَ سَهْلٌ مَكَانَهُ، وَاشْتَدَّ وَعْكُهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُخْبِرَ أَنَّ سَهْلًا وُعِكَ، وَأَنَّهُ غَيْرُ رَائِحٍ مَعَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَتَاهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ سَهْلٌ بِالَّذِي كَانَ مِنْ شَأْنِ عَامِرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ ؟ أَلَّا بَرَّكْتَ ؟ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأْ لَهُ ". فَتَوَضَّأَ لَهُ عَامِرٌ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ.)فهذا الحديث يبين أن العين لها تأثير بليغ فقد أصاب سيدنا عامر سيدنا سهل بالعين لما رأى جمال جسمه ولما علم النبي صلى الله عليه وسلم قال علام يقتل أحدكم أخاه وهذا يدل على أن العين قد تسبب المرض الذي يهلك صاحبه فيموت وقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا بركت يعني دعوت له بالبركة فإذا دعى العبد بالبركة للشيء الذي يعجبه فإن العين لا تصيبه فلبد على الإنسان أن يحصن نفسه وأهله وماله من العين والحسد بالأذكار الواردة في الكتاب والسنة واعلم أن قلوب الناس ليست كلها على شاكلة واحدة بحيث يحبون لك الخير كما يحبوه لأنفسهم فقد تتحدث عن مالك أمام بعض الناس فيحسدوك ويأتيك الفقر وقد تفرح بصفات ولدك الحميدة فتحدث بها بعض أصحاب القلوب المريضة فيحسدو ولدك وكم من زوجة كانت سعيدة مع زوجها فذهبت تحدث صديقاتيها عن صفات زوجها الحسنة ثم لم يأتي عليها المساء إلا ودبت المشاكل بينها وبين زوجها فالحسد حق لا شك فيه نسأل الله أن يكفينا وإياكم شر الحسد وأهله.

خاتمة الكتاب

بفضل الله عز وجل قد وصلنا لخاتمة هذا الكتاب والذي أسميته

"عقيدة الإسلام "

وذكرنا فيه جملة وفيرة مما يسر الله لنا ذكره في معتقد أهل السنة والجماعة وبوبنا لكل مسألة فيه باب مستقل وذكرنا فيه

من الأدلة ما تيسر ذكره من الكتاب والسنة واعتنينا بذكر تخريج الاحاديث وبيان درجاتها

نسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه متقبلا عنده وأن ينفع به المسلمين في أقطار الأرض

إنه الولي على ذلك والقادر عليه .

كتبه "أبو عبد الرحمن محمد يحيى المغاوري"